

ميشال شيحا

# تحوّلات على المتوسّط

قدّم له

الرئيس شارل حلو

ترجمه إلى العربية

دكتور نبيل خليفه

منشورات دار النهار للنشر ومؤسسة ميشال شيحا









## تقديم

### العالم المتوسطي لميشال شيحا

#### شارل حلو

إنّ موقع لبنان على الضفة الشرقية للمتوسط، ودوره في الشرق الأدنى وفي العالم، ودور الشرق الأدنى بالذات، في ماضيه ومستقبله، في مناخه الطبيعي والخلقي الذي يمتاز به: جملة أمور مذهشة، ودائماً جديدة، لم يضق ميشال شيحا ذرعاً باكتشافها، وتأملها، والبوح بها شأن إنسان مذهول وهو يحصي كنوزاً.

لطالما قال لنا، وأعاد القول حول دوافع الفرح والثقة، حول آماله وإيحاءاته، بصوت ليس في كل مرة "لا هو نفسه تماماً، ولا هو غيره تماماً" وعبر نشيد لطالما مرّجَحنا لسنوات، ولكنّه يثيرنا الآن: هذا النشيد الذي منحه الموت مزيداً من الصفاء والرقة – فهو رجّع صدى لا نهائيّ.

من أعلى ذرانا المنفتحة على كل آفاق العالم والروح، ها نحن، نحن أيضاً، مأخوذون "بنشوة الرجل الحكيم" هذه تجاه ذات المناظر، وحساسون لذات الإيقاعات ولذات العطورات. لكن، إلى جانب الحضورات التي تسكن عالم ميشال شيحا، يُضاف إليها وفوقها، في داخلنا، صورة صديقنا بالذات: خياله الرفيع، مقاربتة، نظرتة كرجل رؤيا ورؤية، إيمانه بلبنان – كلّها صيغت بنفاد بصيرة وبحبّ. لقد كان يؤمن بمصير هذا البلد الصغير لأنّه كان يعرف أسباب وجوده كما كان يجتهد لصيانتها. لكن، في حين كان يحصي حظوظنا، كان يودّ أن يتجاهل أنّه كان هو أحد حظوظنا الرئيسة. لقد كان، وسيبقى – أماناً، كمدعاة فخر، كحجة، وكعنوان للنبيل. اليوم، كما بالأمس، تعليمه كما قدوته يستمرّان في تثبيت وتجميل هذه البلاد، لتحويلها إلى ما هي وإلى ما يجب أن تكون – لتخليدها بإبراز جمالاتها.

بالنسبة لميشال شيحا، فإن العالم المتوسطي، الذي هو عالمنا، ليس فقط قلب العالم القديم، إنّهُ مكان ولادة أو تلاقي قيم الحضارات التي تستحق أن تنتشر في كافة أرجاء الكون. فهو يشكل وحدة على صعيد الجغرافيا والتاريخ، والثقافة والسياسة وحتى الاستراتيجية. إنّهُ واقع محدّد بدقّة ووضوح وإشراق، ولن يتعرّض للتعنيم عليه أو لامحائه إلا في فوضى المفاهيم التي تخلط بين شرقنا الأدنى –

المبأل بالمتوسط – وبين الشرق الأوسط الغامض، ذي الحدود غير المعينة بدقة  
وذي الطابع الطبيعي والإنساني المختلف جداً والبعيد جداً عن طابعنا.

كحارس ساهر على الحقيقة، كان ميشال شيحا يغبط لكل عمل، أو لكل  
كلام – (مبادرة دبلوماسية، زيارة رسمية، تصريح، مقال في صحيفة) – يكرّر  
التأكيد على بنية وهئية ونطاق المنطقة التي يدافع عنها.

فقد كتب مثلاً، تعليقاً على تصريح أميركي، إننا على وشك أن نسترجع هذا  
الشرق الأدنى، وبهذا، ومعهُ يُصار إلى اعتماد سياسة عقلانية من أجل الأمكنة  
المقدسة حيث نحيا.

"إن الشرق الأدنى ينتعش، والمعجم السياسي يجعل منه مجدداً تعبيراً  
رائجاً..."

وغداة خطاب لرئيس الولايات المتحدة كتب ما يلي:

"... قد تلقى الشرق الأدنى، من عواصم الغرب، من البلدان التي تحسب  
اليوم بين صانعي الانتصار، تلقى سلفات وضمائنات حول كيفية رؤيته لدوره في  
الحاضر والمستقبل وكيفية اتساعه وتواجهه..."

وفي تعليق على مؤلف للسيد رينه غروسيه، أعلن:

"لقد آن الأوان لإعطاء الحدود الروحية أهميتها لدى تدريس التاريخ.

"... إن الشرق الأدنى، مركز التاريخ الكوني منذ البدايات، ونقطة انطلاق  
الحضارات، يمتلك هو نفسه، حدوده الروحية في كل الكون..."

إن المتوسط – "هذا البحر الذي شهد ربّما أول زورق وأول مجذاف" –  
يمنح جميع الذين يمتلكون مزية العيش على شواطئه سمة القرابة:

"إن المتوسطيين الحقيقيين هم الذين يعشقون هذا البحر وكل ما يمثل:  
الأنسام أم الأهواء العاتية في عرض البحر، ألوان الماء والسماء، جمال وماضي  
الجزر، الصيد صباحاً أو ليلاً، الطحلب والتوتياء وجماليات الغروب..."

ميشال شيحا، هذا المتوسطي، لم يكن هو نفسه "صانع مراكب". ولكن،  
لطالما كان ملاحاً متوحّداً، وفي الوقت عينه ربّاناً ومراقباً، فقد جمع التاريخ والحلم،  
وأعاد اكتشاف وإبانة الحدود البرية، والبحرية والروحية للمنطقة الممتازة التي هي  
منطقتنا. وفي قلب هذا الشرق الأدنى الذي أعيد اكتشافه، فقد كان الباني الأساسي  
لبلدٍ كان يبدو سعيداً أيضاً أن يحيا وأن يموت من أجله.

شاعر الواقع، لذا تقصّى، في جميع العلوم الإنسانيّة وحتى في الشعر،  
الأسس لسياسة ما؛ وعلى سياسة الحكمة وبعد النظر هذه، زاد الحرارة والأمل –  
شعلة لا تخبو أبداً.

هؤلاء الذين نحبّهم، لم نتمكن من أن نحبّهم كما يجب. هذا الرجل الذي كان  
عزيراً علينا، ربّما كان عليه أن يفارقنا كي نتمكّن من فهمه، ومن فهم ما كان يعنيه  
بالنسبة لنا. لقد كان حقاً ملح الأرض؛ كان يعطي هذه الزاوية من العالم كلّ قيمتها،  
وكلّ أبعادها. وإلى تذوقنا للعيش فيها، كان يضيف نكهةً خاصّة. إنّ الأشياء المألوفة  
جداً، كانت تأخذ معنى وإشراقاً وروعة بشكل استثنائي عندما يُنظر إليها. وهكذا  
فإنّ المقالات التي نعيد قراءتها في هذا الكتاب الجديد تجعلنا نحلم بلعبة الضوء  
والماء، التي تكشف، رويداً رويداً، للمشاهد اليقظ، المظاهر المختلفة، والتناغم،  
والروعة في لوحة مشعة متألّقة!

شارل حلو.





"... نحن، مع الربيع، إنّما نفتش عن السلام. نعرف أنّنا من آسيا وأوروبا سوياً ومهمتنا كبشر أن نقرب هذه العوالم. إنّنا نتذكّر بول فاليري في ما كتبه العام 1919: "ينبغي أن ندخل في أوروبا كل شواطئ المتوسط. أزمير والإسكندرية هما من أوروبا مثل أثينا ومرسيليا. هذا ليس علينا نسيانه أبداً وهذا ما يدفعنا إلى النضال كي نخرج من الضلال جملة من المتوسطيين الذين ينسون أنفسهم.

"ليست هذه بالتأكيد مجرد نزوة تدفعنا إلى قول ذلك. إنّما الشرط لتحقيق حياة واعية، ومتناسقة، وسعيدة تحدّد الإمكان، لشعوب بأكملها، موجود هنا بالذات. إنّ الخطأ الدرامي تمثّل، لفترة طويلة، بترك متوسطيّ الجنوب ينزلقون باتجاه شرق – أقصى هو غريب عليهم. لقد جاء الزمن لتوجيه الأمم بحسب مسارات تقليدها وحاجات الروح لديها.

"إنّ الربيع، الذي هو مشترك بالنسبة لشعوب المتوسط، هو الزمن الذي يقربهم: هذا الفصل هو الذي يشيع المناخ نفسه في كلّ مكان. وكذا يُراد له أن يكون فصل الصداقات المتجدّدة، ونهضة للإنسيّة ولما هو إنساني".

ميشال شيحا.



## تحولات على المتوسط

هل من الممكن أن يكون هذا البحر قد شهد أول قارب وأول مجذاف. جملة أحداث جيولوجية جعلت منه ما هو عليه: بحراً داخلياً. فهو تقريباً مقفل، لم يعرف لفترة طويلة سوى مخرج إلى المحيط؛ ولكن، في جبل طارق، المياه قليلة العمق، والأطلسي هناك ملزم بالوقوف عند حدّه. بعد آلاف السنين، اتصل البحر الأحمر به؛ ومن بعيداً وقليلًا ما كان ذلك حقيقياً. والبحر الأسود، بسماؤه الملبّدة، ليس سوى الجزء النضوب والسري للمتوسط.

حقاً إنّ المتوسط يتطابق مع اسمه: بحر داخلي، مع شكل من الحياة الداخليّة التي تحيط به أيضاً.

بالنسبة للمؤرّخ (يمكن لعالم الجغرافيا أن يكون له رأي آخر)، فإنّ المتوسط يبدو البحر المختار؛ إنّه عنصر عناية إلهية وضرورية عبر مسار الخلق. طوال قرون، كان بحراً يختص بامبراطورية واحدة. والوقائع تؤكّد أن سكان شواطئه، حيثما التقوا، يجدون في ما بينهم سمة القرابة.

إنّ المتوسطيين الحقيقيين هم الذين يعشقون هذا البحر وكل ما يمثّل: الأنسام، أم الأهواء العاتية في عرض البحر، ألوان الماء والسماء، جمال وماضي الجزر، الصيد صباحاً أو ليلاً، الطحلب والتوتياء؛ وجماليات الغروب.

إنّ السكان القاريين لديهم سحنة مختلفة. إن عيونهم تفتش عن آفاق أخرى؛ ولديهم لذائذ أخرى. فالصحراء، على سبيل المثال، هي بحر على طريقته يمنح رئات أخرى لأبنائه.

إنّ المتوسطي بطبعه هو باني سفن (وإذ لم يعد يفعل منذ فترة طويلة، فلأن المحرّكات اغتالت الشراع)، وهو أيضاً رجل المخاطرات البحرية. أما الآخر، الرجل القاري، الذي من عندنا، لأنّ كلّ شيء هنا يختلط، فهو يستسلم للكسل المديد، ويحيا في أضواء القمر، وفي الأحلام الملتهبة. مع أن هذا لا يمنع القيام بنزهات كبرى.

قرابة العام 340 قبل الميلاد، وضعت نقوش على عملات رائعة من الفضة، "ايزبعل ملك جبل" (وهو ما يعني بالأرامية أيضاً، ملك بيبلوس، جبيلنا، وملك الجبل) وهي نقوش، تكشف عن سفينة شراعية حربية ذات تصميم رائع. في المقدّمة يوجد رأس أسد وفي بقية السفينة جنود شاكي السلاح. وفي الأسفل

يتمدد بكل فخر حصان البحر الذي نصفه كالجواد ونصفه كالسمكة. لقد كان الملك ايزبعل يود أن يشير بذلك إلى أنه، مع حبه للحصان، فإنه إنسان أقرب إلى البحر، وهو على استعداد دائم لأن يغامر في أسفار ملاحية بعيدة.

في حدود العام 649 للميلاد (نحو العام 17 للهجرة)، وإذا كان معاوية الخليفة الأموي الأول، يتهيأ لنزول البحر في بيروت للقيام بحملة عسكرية (ولم يكن إذاك إلا برتبة نقيب)، ومن أجل أن يهدئ من روع جنودهم الذين هم من المدينة، فقد أبحر مع الآخرين. معاوية الذي كان بطلاً، لم يكن يتواجد خلفه

متوسّطون.

بهذا يمكن التعرف على الأسياد الشرعيين لهذه الشواطئ. في الحياة، ليس من أمر مؤكّد سوى التصرف الطبيعي للبشر. ففي مواجهة كل ما هو مصطنع، هناك شهادة الطبيعة نفسها. أليست الصحراء شقيقة الصحراء، وشجرة الزيتون شقيقة شجرة الزيتون؟ في محيط المتوسط، فإن ذات المناخات، ونفس القوى السريّة، ونفس ثمار الأرض، تصنع طبيعياً نفس البشر.

بالوصول إلى حدود المغرب، وحدود اسبانيا، فإنّ المتوسط هو ملك لكلّ أبنائه. نحن نطالب به، كما يطالب به آخرون، لأنّه الرباط التناسقي والتناغمي لجميع الأفكار التي يحيط بها ويغمرها.

إنّ البحر الداخلي للأداب والفنون، للشعر والموسيقى.

وأكثر من أي بحر آخر، وبعيداً عن الأحكام المسبقة وأساليب العنف، فإنه علامة توازن وأخوة.

## بصد أمر بديهي

إنّ الدفاع الجماعي عن المتوسط غير القابل للتجزئة، تفرضه طبيعة الأشياء. نقطة الانطلاق فيه ليست في السياسة وإنّما في المنطق نفسه. وهي تتبرّر لا باختيار، ولا بانتقاء، وإنّما بالضرورة.

لا يمكن أبداً، ولا ينبغي إطلاقاً، أن يكتب حول هذه الموضوعات من دون أن يكون تحت النظر، أو في الذهن، خريطة العالم، صورة العالم. إنّه في ضوء شكل ونطاق اليابسة والبحار تتم صياغة سياسة تخدم جزءاً من البشريّة كي تواجه مستقبلها أكثر ممّا يساعد عليه التطور السكاني في أراضي هذه الشعوب وشواطئها.

الحدث الجديد، هو بالتأكيد، إلغاء المسافات وهذا بفضل الوسائل الميكانيكيّة والفيزيائيّة والكيميائيّة التي أفرزها العصر. منذ ثلاثة آلاف سنة، يوم كان يتمّ الدفاع عن النفس هنا، بواسطة الترس وقوس النشاب، لم يكن هناك حاجة، ربما، لوجود نقاط إسناد على الطرف الآخر من المتوسط. ولكن، عندما استعان السلوقيون، ومن ثمّ هنيبعل بالفيل في الحرب، فقد وجب عليهم الحصول على الفيل في موطنه الأصلي. هذا ما يجري الآن عندما يطلب جنود من الدول التي فيها كثافة سكانيّة، وتطلب أسلحة من الدول التي تقوم بتصنيعها.

علينا ألا ننسى، أنّه، في أيامنا، فإنّ الجيوش تسقط علينا من السماء أشبه برعود الإله زوش (Zéus)؛ فمن السماء ينزل علينا بالمظلات، الناس ومعدّاتهم بما في ذلك مدافع ودبابات. لذا علينا أن ندافع في إزاء ما هو فوقنا وما هو بعيد عنّا إذا لم نشأ أن نتحوّل إلى هباء وركام. إن حجة الحياد، وقد صارت بالية، تصبح مثيرة للسخرية عندما يتعلّق الأمر بأهمّ مفترقات العالم. ستصبح، وهذا علينا فهمه نهائياً، أشبه ما يكون بحياد الغزال تجاه النمر والأسد.

علينا إذن، أن نذكّر دول الشرق الأدنى المتوسطيّة أن هناك دولاً أخرى متوسطيّة، أكثر كثافة سكانيّة، أقلّ ضعفاً أو أكثر قوة، وعليهم واجب الانضمام إلى المهمة المشتركة، أي أن يقوموا بدورهم بما فيه من صعوبة ومجازفة.

أي تعبير ساخر سيجعلنا نعتقد أن بلدان الجامعة العربيّة، يمكنها لوحدها، أن تكون شريكاً حيويّاً للأميركي وللاّنكليزي في صراع الأمم؟ يا لها من أسطورة رائعة وأليمة لصراع غير متكافئ! أي تعبير مهذّب يجعلنا نفكر بأن متوسطيّ الشمال غير ملزمين بتقديم مؤازرتهم لمتوسطيّ الشرق؛ والعكس بالعكس، فإنّ

متوسطيّ الشرق أو الغرب لن يفعلوا ذلك لأهل الشمال؟  
هذا أشبه ما يكون بالسكن في المدينة نفسها ولا يُراد الدفاع إلا عن حيّ  
فيها، وبواسطة سكان هذا الحيّ فقط.  
هذه الصورة تصحّ من دون شك، على المتوسّط، حيث تُضاف إلى الوحدة  
البحريّة والبريّة، ولأسباب جغرافيّة وتاريخيّة، وحدة إنسانيّة حقيقيّة سواء في ظلّ  
البرنس أم في ظلّ القبّة.  
علينا أن نفكّر بهذه الأمور إذا كنّا لا نريد أن نعرّض أنفسنا لمرارات الندم  
بتصرّفنا كقاصرين.

24 أيار 1951

## هذا الشرق – الأدنى...

جميع القضايا "المتوارثة"، إذا أمكن القول، عن "المسألة الشرقية"، هي الآن في الواجهة. إنها مرحلة، تذكر فيها أوروبا الشرقية العالم بموقعها واحتياجاتها وتبعياتها الجغرافية، ومن ثمّ تجيء مرحلة تعيد فيها أوروبا الغربية الأمر نفسه. وبحسب ما يمارس الضغط من الغرب أم من الشرق، تنتقل النقطة الحساسة من موضعها. وطوال زمن الأحداث تلك، كانت الحروب العالمية تنعقد وتُفك حول هذه المعضلة المزدوجة.

سياسياً، فإنّ الشرق الأدنى هو بالتأكيد، أحد الأماكن الأقل راحةً في العالم. هذا أمر معروف منذ زمن بعيد. لذا تمتحن فيه الدبلوماسية على مواجهة الشدائد وعلى تقديم أفضل ما لديها. ولدى تركهم ذلك الشرق، وما لم يكن لديهم إجهاد في التفكير، يكون المجال مفتوحاً أمامهم لاحتلال المناصب الرفيعة. على أنّ قلة من السفراء المعاصرين لمعوا في مهنتهم باتباع طرق أخرى. هذا كان صحيحاً خاصة عندما كانت القسطنطينية هي القسطنطينية. إن العقدة الكونية كانت تجد فيها محور ارتكازها الرئيسي، ومن القسطنطينية إبان أيام الصحو، كانت الرؤية ممكنة حتى الولايات المتحدة ووصولاً إلى الصين.

الآن، إذا لم تعد مراكز المراقبة كما كانت بالتمام، فإنّ الآفاق لم تتغيّر. وفي الحياة الدولية يستمرّ السعي باتجاه الهيمنة أم باتجاه الكارثة عبر هذه الطريقة نفسها، طريق آسيا والتي ليست فقط طريق الخزف والبهارات والحريز.

في السنوات الأخيرة، جرى الحديث بكثرة حول الشرق الأدنى والشرق الأوسط. والشرق الأوسط هو إيران وهو أيضاً أفغانستان إذا شئنا ذلك، لكن التسمية، ولأسباب متصلة بسهولة التعبير الشفهي، اتخذت معنى أكثر اتساعاً. الشرق الأدنى هو أوروبا الشرقية باتجاه آسيا على مستوى المتوسط. وهو على هذا المستوى نفسه، آسيا الغربية باتجاه أوروبا. فنحن محصورون في هذا المجال "الحيوي" للإمبراطوريات وللعالم. بل نحن (وهو ما تعلمنا أن ندركه) في نقطة هي الأسهل لبلوغها، والأكثر حساسية في هذه المنطقة المشهورة؛ وكل يوم يمرّ نتأكد بأنفسنا من ذلك أكثر. والمثل الموضح، والمباشر لما لدينا من موهبة، في جملة ما لدينا، هو هذا: بعد الآن فإنّ الإمدادات العسكرية من أوروبا إلى الصين، والأسلحة البريطانية ضد اليابان ستستخدم هذا الممرّ بشكل طبيعي.

لكن، فعلاً، لماذا نكتب اليوم حول هذا الموضوع، ولماذا نتكلّم عنه في هذا



الصباح؟ ربّما لأنّه من المناسب تذكير الدول التي حولنا، وأن نسعى نحن أيضاً لتذكير أنفسنا، بأننا (ومن دون أن نخضع لأيّة فكرة قدريّة) كلانا محكومون بمصير أبدي.

في الوضعيّة المرصودة التي نحن فيها، سيكون من التهور أن ندّعي كلانا توسيع بلدنا بحسب رغبتنا، أو أن نوفق بين أمور متناقضة، وأن نمارس العنف في إزاء ما صنعه الزمن والتاريخ منّا.

إنّ وضعيتنا هي أكثر دقةً من وضعيّات البلدان البلقانيّة. فمن أجل السلام والخير المشترك، فلنجهد نحن إذن، في العمل على توطيد وتدعيم بلدنا الخاص قبل أن نحول أنظاره إلى بلدان الآخرين.

إن تعدّدية "المسائل الشرقيّة" لزمنا الحاضر، لا يمكن حلّها إلا لقاء هذا الثمن.

14 تشرين أول 1944

## بلجيكا ولبنان

ممّا هو جوهرِيّ في مؤلّف ليشترفيلد (Lichtervelde) الذي بعنوان: "ليوبولد الأول وإنشاء بلجيكا المعاصرة" لنقتطع، ما دام الظرف مؤاتياً، فقرة معبرة هي التالية:

"في عرضه السلطة على روجييه (Rogier) في 8 تموز 1847، كتب الملك: هذه البلاد فقيرة بالأفكار السياسيّة وتبدو معرّضةً باستمرار لنسيان الأسس التي بُني عليها وجودها السياسي كدولة أوريبيّة...

"يوجد نوعان من الدول: الأولى تنوجد بفضل قواها الخاصة، والثانية تنوجد وفقاً لبعض الشروط النابعة من توافقات الدول الكبرى ومن الهدف الذي تودّ العائلة الأوربية الكبرى منها تحقيقه وملاؤه. إنّ بلجيكا تصنّف في النوع الثاني. لقد كان صعباً جداً عليها أن تحتل مكانتها، ولكنّي أعتقد، ومن دون أن أعجب كثيراً بنفسي، بأن الموقع الذي خلقته لنفسها في أوربا هو رائع، ويتجاوز بكثير الموقع الذي كانت تأمله في العام 1830؛ إذن لا ينبغي عمل أي شيء يؤدي إلى فقدانه".

إنّ ما لاحظته ملك البلجيكيين الأول لحسابه، منذ ما يقرب من المئة عام، ينطبق تماماً على قضايانا. بالطبع، لقد تغيّر العصر وأوربا الغد (ما الذي يمكن قوله عن أوربا الحاضر؟) لن تصبح السيّدة الوحيدة للعالم.

لكن، وفي عدة حالات، لم تكن الظروف الأوربية آنذاك، إلا الصورة عن الظروف العامّة لعالم اليوم. لقد كانت بلجيكا "عقدة الاتصالات والمفترق"، وهي أمور نرضى بها لأنفسنا. جملة موضوعات في الدين، في اللغة، الخ.. كانت تطرح فيها لقد كانت بلداً صغيراً لم تعتقد أوربا كلّها، ولفترة طويلة، أنها قابلة للعيش: بلد صغير مهذّب ومطموع به من كل الجهات والذي كان بإمكانه لوحدته إشعال النار في كلّ أوربا. فالبروسي والنمساوي والروسي، من جانب، والفرنسي والإنكليزي، كحماة لبلجيكا من الجانب الآخر، كانوا يعقدون وضعيتها إزاء ادّعاء متصلّب لهولندا بها وفي وجه صعوبات جمّة.

"إنّ بلجيكا، بموقعها الجغرافي، كما كتب أيضاً الملك ليوبولد إلى روجييه، هي البلد الأكثر تعرّضاً على وجه الأرض".

لكن، كان النصف الأول من حكم ليوبولد الأول كافياً لقلب الرأي حول أوربا. ففي العام 1848، أي بعد سبعة عشر عاماً على استقلال بلجيكا، وعندما وقعت الأمم الأوربية في أسر زوبعة الثورة، عندما أصبحت باريس نهياً للمتاريس،

وفيينا وبرلين للفوضى، وبقية أوروبا ذات "الحلف المقدس" ملغمة من الداخل، بدت بلجيكا، تقريبا لوحدها، صلبة كالصخر في قارة عصف بها الجنون.

إنّ الحقيقة البديهية خطأت رأي كل من تاليران ومترنيخ، والآراء المسبقة للحكومات ولمؤسّساتها. فخلال المئة سنة التي تلت، وحتى أيامنا هذه، فإنّ أهمية بلجيكا المستقلة زادت ترسخاً في أوروبا. لقد أصبحت القومية البلجيكية قوة ضرورية لإرساء توازن لا غنى عنه.

ومن دون الدخول في مقارنة مطلقة، لنسح كي تكون الأمثلة البلجيكية مفيدة لنا. إنّ استقرارنا سيأتي، أكثر فأكثر، من أهليتنا كي يكون لنا حكم جيد وكي نكون مفيدين للآخرين؛ ومن صلابة الروح لدينا ومن ذكائنا. ومهما يكن من أمر الدول العربية التي ننتمي إليها، فإنّ دورنا الدولي يفرض نفسه علينا، كما يفرض نفسه، أكثر فأكثر، على الجميع. إن المثل الآتي من بلجيكا يرسم لنا سبيلنا. فلنعمل دائماً، بفضل مساعينا الحميدة، كي نؤكد الحاجة إلينا، وكي نقلل إلى الحد الأدنى حاجتنا إلى الآخرين. إنّ عقلنا هو الذي يصنع قوتنا.

## شهادة

إنّ كلمات رئيس الولايات المتحدة، في جوابه على سفير لبنان في واشنطن الذي جاء يقدّم له أوراق اعتماده، تحمل شهادة جدّ مؤثّرة:

"إنّك تمثّل بلداً، أقام الأميركيون معه، طوال أكثر من قرن، علاقات ثقافة وصدقة تميّزت بذكريات طيبة. إن بلدكم كان لفترة طويلة رمزاً للقاء واندماج ثقافات الشرق والغرب...".

"بفضل عظمته الروحيّة والأخلاقيّة، احتلّ بلدكم مكانته في أسرة الأمم المستقلّة في العالم. إنّي أعول على مساهمته في الدفاع عن قيم الديمقراطية والعدالة، وهي مساهمة، نابعة من تاريخ وماضي لبنان، وإنّ للإنسانيّة الحق في أن تنتظرها منه...".

هذا الكلام الرائع والخطير، سيجد صداه في كل مكان. ولدينا ملء الثقة بأن نعتقد، بأن الدول العربيّة الأخرى ستهنّئ نفسها فيه. وسيقولون في أنفسهم إن الثقافة والصدقة هما ثمر لكل المناخات ولكل الحضارات ومن المفيد أنّ أميركا العظمى قد جعلت منه بينةً ولا أروع.

إنّ ماضي جميع الدول العربيّة هو ماضٍ يختلط. ولن يكون

بمقدور أحد أن يوجّه إلى هذه الدول الإهانة للتفكير بأنّها تعتبر نفسها معزولة في العالم، وأن بإمكانها أن تتخلّى عن هذه الأخوة الأكثر اتّساعاً التي تدخلها في إطار الحسائيّة الكونيّة.

إنّ ما قاله الرئيس ترومان عن لبنان يشرفنا ويشرف كل أصدقائنا معنا. إننا نتأكد بأنفسنا أكثر فأكثر، أن القيم الروحيّة لها مكانتها، وأن القوة المادية، إذا ما استندعت الخوف، فإنّها لا تستدعي الاحترام بالضرورة، وأن العدالة الحقّة هي إلى تقدّم.

لقد حصل الشرق الأدنى، من عواصم الغرب، من البلدان التي تُعدّ اليوم بين صانعي النصر، على تسليفات وضمّانات بحيث يرى دوره يتّسع ويتعدّد في الحاضر وفي المستقبل.

على الدول العربيّة أن تهتم، أكثر من أي يوم مضى، ببقية العالم. وما هذا إلاّ لأنّها موجودة في قلب العالم، وليس بمقدورها أن تسمح لنفسها بتجاهل الكون. لقد جاء الزمن، لكل من هذه الدول، لكي توسّع أفكارها وأفاقها وأن تتأكّد بأن لها رسالة عليها أن تملأها على هذه الأرض.

هذا هو معنى خطاب رئيس الولايات المتحدة الذي يستدعي الشكر العميق من جانب جميع اللبنانيين.

24 نيسان 1945.

## ما قاله السيّد ترومان

لقد لوحظ أن رئيس الولايات المتحدة تكلم بإسهاب عن الشرق الأدنى في خطابه الشهير يوم السبت (6 نيسان). العالم القديم كان قد اكتشف العالم الجديد. الآن جاء دور العالم الجديد ليكتشف العالم القديم. إن أميركا تقترب رويداً رويداً من مصادر التاريخ. إنها تتجه نحو القارات حيث يعيش تسعة أعشار البشرية. وهي ترى أنها إذ بنت أهم صناعة في العالم، فإنها لا تستطيع تجاهل التسعة أعشار من البشر، المقيمة بكتل بشرية مزدحمة في ما وراء أوقيانسيا. والأطلسي والهادئ، لم يعودا بالنسبة لأميركا، بفضل الخدمات الجوية التي تخترقهما، سوى المعادل لبحر المانش في زمن الملاحة الشراعية.

الرئيس ترومان قال أموراً عن الشرق الأدنى (وعن الشرق الأوسط) كنا، من دون شك، نعرفها، ولكنّها تحمل نبرة من النضارة عندما تأتي من شيكاغو (مكان إلقاء الخطاب): "إن الشرقيين الأدنى والأوسط يشكّلان منطقة تنطوي على مشاكل خطيرة. هذه المنطقة تحوي ثروات طبيعيّة ضخمة. إنّها واقعة في منتصف طرق الاتصالات البريّة والجويّة والبحريّة. إنّها، بالتالي، منطقة ذات أهميّة كبرى اقتصاديّة واستراتيجية". أين هو إذن مونرو ونظريته الشهيرة؟ أين هم أجيال رجال الدولة الأميركيين الذين كانوا يريدون رؤية أميركا تدير ظهرها للعالم القديم، وتكتفي بقوتها وعزلتها في منتصف الأوقيانسات الواسعة؟

إنّ عقدة الطرق العالميّة، والمفترق حيث نعيش تسترعي الآن انتباه الأميركيين، كما، بل وأكثر من قناة باناما ومن رأس هورن (Cap Horn).

إنّ المئتين وخمسين مليون إنسان الذين يسكنون الأميركيين هم أقلية ضئيلة إلى جانب بقية العالم. وأميركا التي كانت مجهولة قبل نهاية القرن الخامس عشر، وتمّ اكتشافها على يد كولومبوس بعد مليون عام من النسيان والعزلة، أميركا هذه لا تستطيع أن تأمل بتوازن صحيح من دون آسيا القديمة وأوروبا القديمة.

إنّها لا تستطيع أن تشيح بأنظارها عن الأماكن حيث بنى البشر أقدم منازلهم وأكثرها وقاراً.

إن أميركا تقترب منا كما لو كانت سفينة شاسعة يتقاذفها اليم، كما لو كانت كوكباً آخر جاء يلتحم بكوكبنا.

الآن ينبغي الاعتراف بأن مصير الشرق الأدنى يأخذ منحى تصاعدياً.

فالنقطة التي خرج منها، تقريباً، كل شيء على الأرض، أصبحت نقطة وصول،  
ومكان تلاقٍ كونيّ. بعد الآن، فإن قوى هذا العالم ستجعل في عداد العناصر  
الحاسمة المحدّدة لقوتها، الحيّز الواقع ما بين البحر الأسود وبحر قزوين،  
والمتوسط، والبحر الأحمر والخليج الفارسي. إن تراجعها عن الأماكن التي تحيط  
بها هذه البحار، يعني، بالنسبة لها، الهزيمة والغروب.

إن السيّد ترومان، إذ تكلم بهذه الطريقة، فقد أتمّ الوصل بنغم التاريخ  
العتيق. لقد أعاد بلده الكبير إلى ينباع الضرورية في الشرق الأدنى، وهي  
مفروضة بفعل التاريخ وبفعل توزّع الأراضي وتوزّع البحار.

9 نيسان 1946

## النقيض لعمل العقل

لكي يتعرّف الشرق الأدنى على مصيره، فإنّه بحاجة إلى العودة إلى الذات وإلى الصمت.

لا بدّ من إيجاد المقابل للضجيج الذي تطلقه فيه الأمم. فالاضطراب الذي نلحظه فيه يرجع لأسباب متعدّدة؛ ليس أقلّها التنافس المستمر بين الإمبراطوريات، ومن خلالنا، ذاك التناقض الأبدي بين مصالحها وبين أهوائها.

من زمن مديد ونحن ندرك أن استقلاليتنا ممنوعة علينا سياسياً. كان ذلك صحيحاً في زمن السفر على الحصان والملاحة بواسطة الشراع. فكم سيكون ذلك أكثر صحّة اليوم حيث المسافات والمراحل البطيئة ليست سوى مجرد ذكرى!

من النيل إلى البوسفور، من المتوسط إلى الخليج الفارسي، كل ما يحدث من أمور هامة يندرج ضمن أحداث الكون الكبرى. ففي كلّ مرة تبرز قوة دولية أو تهتزّ، فإن الشرق الأدنى يعرف ذلك بالأحداث. فهو يزن القوى بحسب حضورها أو بحسب غيابها. لكن، إذا ما استوعب أكثر النعمة التي يمثّلها التوازن والنظام، فإنّه سيكون قادراً على تحسين حظوظه في الاستقرار النسبيّ.

إنّ البلد الصغير البحري والجبلي الذي هو لبنان، يقع تقريباً

في قلب المنطقة حيث تثار كل هذه الضجة. وأكثر من أية أمة أخرى فإنّه مهّدّ بفوضويّة الروح. ولن يكون قادراً على تحديد مصيره إلاّ عبر النظم الأخلاقية والسياسية المفهومة والمقبولة.

من هو اللبناني ذو النية الحسنة الذي سيتبيّن أن الاضطراب الذي وضعونا فيه إنّما هو عقيم ولا جدوى منه، وأن المبالغات التي يؤدي إليها إنّما هي النقيض لعمل العقل؟ فالإفراط يولّد الإفراط، كما ينبثق الشرّ من الشرّ والعنف من العنف.

نحن، وجيراننا المباشرون، وجيران جيراننا، بحاجة إلى علاج آخر. إنّ موقفاً فكرياً آخر يفرض نفسه علينا جميعاً وواجبنا الطبيعي هو أن نقدر مصاعبنا ونخففها، بديل أن ننمّي، وبشكل مثير للسخرية، أحقادنا وخلافاتنا.

حقاً، في مثل هذا الزمن الصعب، نجد أنفسنا نتصرّف في أمورنا الداخلية مثل الأولاد.



## أهمية الشرق الأدنى

### مفكرة إلى ممثلي الدول العربية إلى دورة انعقاد الجامعة

إن حماية خطوط الاتصالات لإنكلترا، التي هي في أساس العديد من الأمور، صارت في يومنا الحاضر تثير اهتمام الأميركيين والإنكليز على حدّ سواء؛ ويمكن التأكيد أن الفرنسيين، وبعض الآخرين، وحتى بعض دول الشرق، لم تعد غير مبالية بهذا الأمر.

في الواقع، لم يعد الأمر أبداً خاصاً بأمة، أو بإمبراطورية، بل يتناول أمن العالم كله.

ولكي نتكلم بلغة الصدق والعقلانية، نضيف بأن الشرق الأدنى حيث تمرّ علانية هذه الخطوط الشهيرة، وأن الشرق الأدنى (وبالتالي مصر وسوريا والعراق والعربية السعودية ونحن) وكذلك الشرق الأوسط أيضاً، عليها أن تعتبر هذا الأمن بمثابة مسألة جوهرية.

ذلك أنه لم يعد ممكناً لأحد الدفاع عن نفسه وحيداً، في أية بقعة من بقاع العالم. ولم يعد ممكناً لأحد أن يقاوم وحيداً في إزاء جيوش تسقط عليك من السماء وإزاء قنابل قادرة بمفاعيلها أن تمحو المدن.

في أية محادثة بين الأمم، هدفها تأمين الممرّ الحرّ والاستخدام الحرّ لوسائل الدفاع من كل نوع في حال الاعتداء، لن يكون الشرق الأوسط بلداً معنيّاً بالحفاظ على أمنها. يبدو إذن، من المفيد جداً أن نذكر بذلك في هذا الأسبوع حيث معظم رؤساء الحكومات في الدول العربية هم ضيوفنا لبحث قضايا الجامعة العربية.

إن المشاكل التي من هذا الطراز، من مثل الخلاف بين مصر وإنكلترا، تمت معالجتها حتى الآن بالشكل الخاطئ. وقد نتج عن ذلك، بفعل مفهوم للأمر راح يضيق شيئاً فشيئاً، حالة غير مريحة للجانبين. من لا يرى أنه من المؤسف أن يطول أمد حالة كهذه؟

إذا كان رجع صوتنا وحتتنا سيصل إلى الشخصيات المركزية للدورة الحالية للجامعة، يمكننا عندها أن نأمل بأنهم سيرضون بالتفكير فيها خدمةً لسلام الدول العربية، وتأميناً لراحة الذين يحكمونها، وأخيراً من أجل سلام العالم.

سيكون الأمر حتماً سخيفاً إذا ما أردنا التظاهر بتجاهل الوجود الحالي

لأخطار جمّة في أنحاء العالم. فحيثما يكون للرأي العام دور في صياغة القانون، ينبغي أن يكون الرأي العام على بينة، ذلك أن ردود الفعل لدى الرأي العام ستكون مختلفة إذا ما كانت الأحداث معروفة لديه، وكذلك مدى اتّساع الخطر.

إنّ حالة من السخط تعمّ الأرض قاطبة. فالأمم الكبرى، التي تتحكّم بحياة وموت الجميع، سوف تعتمد إلى محاولات يائسة بمقدار ما تعتبر أنها تلعب ورقة مستقبلها في هذه المرحلة وبشكل نهائي.

جغرافياً، وسياسياً واستراتيجياً، فإنّ شرقنا يبقى أو يعود ثانية، كما كان منذ ثلاثة آلاف سنة، سرّة العالم. وسواء أعجبنا ذلك أم لا، فإنّ علينا هنا بدفاعنا عن حقوقنا، الالتزام بأن نأخذ في الاعتبار طبيعة الأشياء وواجباتنا تجاه الكون.

11 تشرين أول 1947

## من أجل سياسة على مستوى العالم

تتسارع الحركة لولادة أوروبا الموحدة. وفي جميع عواصم الغرب (وفي بعض العواصم الأخرى) تعكف الحكومات اليقظة على المشكلة الأولى للزمن الحاضر. وما ذلك إلا لأنها الأولى بالتأكيد. يمكن للمظاهر أن تضع القدرة المحسوبة على معياري القوة والثروة في مكان آخر. ولكن، باتجاه الطروحات الثورية الحديثة، فإن فكرة أوروبا الغربية ستبقى هي الخميرة، وهي التي ستحقق التوازن أو عدم التوازن في نهاية المطاف.

كل أميركا هي ثقافياً، ابنة انكلترا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال مروراً بإيطاليا واليونان. فاللغات التي فيها يتكلمون، والمذاهب المتواجدة فيها، تعود إلى هذه الأوربا التي لها واجهتها على الأطلسي.

وهو الماني ذلك الذي تحدث، أول من أمس، في لندن، وفي مجمع الكنائس من أجل وحدة الغرب، عما أسماه "قداسة القارة" الأوربية. وآسيا، من جانبها، تتذكر أكثر فأكثر أنها أنجبت العالم الآري (Aryen).

في سياق التحرك لإنقاذ الحضارات (ليس في الكلمة مبالغة)، فإن كل المتوسط منهمك، مع الشرق الأدنى، مع الشرق الأوسط وحتى آسيا الجنوبية بالذات. تلك هي جميع منابع الحياة الروحية، جميع المعتقدات بعالم فوق طبيعي، وبقاء الروح، وبحضارة مبنية على ما هو سرمدى ومطلق.

في ما يتخطى آفاقنا الضيقة، وخلافتنا البائسة، يصح القول إن الألوهة ذاتها هي التي تتحرك، وهي التي تسمح بحدوث مثل هذا الصراع السامي لدى البشرية من أجل خبز آخر غير الذي يغذي الجسد، من أجل مثال آخر غير الذي للاقتصاد السياسي المحصور ضمن آفاقه المستقبلية.

أجل، من أجل ذلك تنضم في هذه الساعة: كل الروحانيات أو أنها تصبو إلى مثل هذا التلاحم الذي فيه معنى صراع الحياة ضد الموت.

إن منتصف القرن العشرين هذا يستنهض الأفكار العامة والرؤى العامة باعتبارها ضرورة يومية. فهو يفرض ارتفاعاً للنفس، ومجهوداً للمألفة وللفهم الثابتين. جميع قوى هذه الأرض النائمة أحياناً منذ عصور، هي الآن في اليقظة وفي الطليعة. منذ الأزمنة السحيقة، تعلن ظاهرات كونية بأن القرن القادم سيشهد تطوراً بإيقاع لا يمكننا تخيله.

في النقطة حيث توجد الكرة الأرضية، يبدو أن البشرية لم تعد قادرة أن تفعل سوى زيادة السرعة الشاملة التي تحتجزها. فهل سيكون بإمكانها أن تسيطر عليها وأن تضبط نفسها؟

إن أوروبا الموحدة هي الآن مرحلة ضرورية على الطريق من أجل مصير جماعي لا يُقاس. لنحيي مرةً أخرى ولادتها متذكرين أن على الشرق أن يولد معها إذا لم يرد أن يكون الثغرة في السور.

## بعد مرور ثلاث سنوات..

إنه لمثير للمشاعر كلام يذكر بأن نصف ميزانية تركيا مخصصة لدفاعها الوطني. فتركيا تعيش في حالة استنفار. والمجهود الذي تبذله لصيانة الحريات لديها خلاق بالدول الكبرى. لكن وضعيتها تبرز تضحيات يمثل هذا الحجم. فهي تحيا، كما يقال، تحت ثقل العملاق، في حين يمنع عليها أن تنام في ظله.

ولئن توقّفنا هذا الصباح حول حالة تركيا فلنعجب، مرة أخرى، من حالة العالم بعد مرور ثلاث سنوات على حرب هتلر. فهل في الذهن ما هو أقل إنسانية من الإلزام المادي والمعنوي المفروض على شعب، في العام 1948، لتخصيص نصف ثرواته السنوية لجيشه ولدفاعه؟ فإذا كان هذا هو وضع تركيا في زمن السلم، فما الذي سيكون عليه في زمن الحرب؟

ومع ذلك توجد الشرائع الكبرى، توجد الأمم المتحدة، ويوجد حق الشعوب، وتوجد حقوق الحضارة.

ولا مرحلة من التاريخ بدت أقل أماناً من تلك التي نحيا فيها اليوم. إنها مرحلة خطر وعدم يقين لا نهاية لها. ففي ألمانيا، لا يمكن القول إن الأمور تتحسن بين الغرب وموسكو. وفي كل أنحاء أوروبا الغربية، تُستغل المناسبات لإزعاج الحكومات بوسائل العنف وسواها. وعادة ما يكون ذلك بالإضرار والخلاف قائم في كل الأحوال. وإلى هذا الكم من القضايا المعلقة، وهذا المقدر من عدم التوازن، ومن التهديدات، أضافت أميركا موضوع فلسطين حيث لم نعد ندري أبداً إذا كان الانتظار جزءاً من الزمن الضائع أم من الزمن المكتسب، كون التوجّهات والأحكام جد عميقة.

هناك، من دون شك، من يُطمئن قائلاً، إن الاتحاد السوفياتي لا يريد الحرب حالياً. فعلاً نحن نصدق ذلك، وإنما لا يمكن استبعاد آخرين غير الاتحاد السوفياتي الذين، في مواجهة الغرغونية التي تنتشر، يفضلون تسريع المصير بدل معاناته. هنا تكمن الحجة أيضاً كما يكمن الخطر. والرأي العام الأميركي، بمقدار ما يمكن إبداء الرأي فيه، يتطور بهدوء باتجاه نفاذ الصبر. فهو لا يستطيع العيش في مواجهة قوة، هائلة مثل أميركا نفسها، إذ تجعل حياة الأميركيين غير مستقرة وتسمم وجودهم.

إن المناخ السياسي للعالم سيتغير بعد تشرين الثاني. حالياً، لا بدّ من تحمّل هذا الارتهان وهذه المزايدة لانتخابات رئاسية في الولايات المتحدة، حيث تصنع السياسة الداخلية، وبفظاظة، على حساب عدد من المشاكل الدولية.

من الواضح بالفعل، أن إرادة أميركا تضغط بثقلها على كل العالم؛ وخصوصاً بفضل مشروع مارشال وليس من دونه.

كان ذلك في العام 1835، يوم كتب توكفيل (Tocqueville): "يوجد اليوم على الأرض شعبان كبيران وهما، وإن كان انطلاقهما من نقاط مختلفة، يبدوان يتقدّمان نحو ذات الهدف: إنهم الروس والأنغلو-أميركان (لم تكن الولايات المتحدة تعدّ آنذاك سوى 13 إلى 14 مليون نسمة). كل واحد منهما يبدو وكأنه مدعو بتصميم سرّي من العناية الإلهية كي يمسك يوماً بيده مصير نصف العالم".

ها قد وصلنا فعلاً إلى هذه النقطة ونحن موجودون فيها. هذا هو السبب الذي من أجله لا يمكن لنصفي العالم البقاء، إلى ما لا نهاية، الواحد في مواجهة الآخر في حالة حرب أعصاب. ولكن، هذا هو السبب أيضاً الذي من أجله تركيا مجبرة (ونتخذها هنا كنموذج فقط) بأن تعطي في زمن السلم نصف ثرواتها لمجهود الحرب ولآلة الحرب اللذين يسحقانها، وهي مدعومة علانية من البعض ومهدّدة من البعض الآخر.

إنّ فتنة التعبير المثالي تتحوّل أكثر فأكثر إلى تعبير مصطنع. وهذا ما يُلاحَظ كل يوم أكثر فأكثر.

## دفاع مشروع

إنّ زيارة امبراطور إيران إلى صاحب القداسة بيوس الثاني عشر، في كاستل غاندولفو، أتاحت الفرصة للحبر الأعظم ولجلالة الشاه لإسماع العالم كلمات الألفة والسلام. إنّها خطوة، بعد عدة خطوات أخرى نحو تفاهم وأخوة الشعوب؛ إنّها فعل تقدير، بعد عدة أفعال أخرى، لتأكيد شمولية الروح.

منذ الهنيهة التي تسمو فيها الروح، تتقارب القلوب. وبالمقدار نفسه الذي تكون فيه الأحكام المسبقة قديمة ومتحجرة، ينبغي أن تسقط. ومن أجل ذلك ينبغي بكل وضوح، أن تتدخل الروح. وأن تمحو الشكوك والنزاعات بمجهود الذكاء والشعور. ليس على أيّ إنسان، أو أيّ شعب من أولئك الذين يؤمنون بالقدرة الإلهية، أن يبتعد عن إنسان آخر أو شعب آخر يؤمن بهذه القدرة. لأنّه، بكل تأكيد، وحيثما كان، فإنّ الإيمان هو في وضع الدفاع المشروع في مواجهة عالم يود أن يبني كل شيء على الصدفة؛ وعليه، فإنّ الأسس ذاتها التي لكل شرعة إنسانية عقلانية وحساسة ستكون مهددة.

ولا أيّ بابا، أكثر من البابا المالك سعيداً، وسّع الحياة الدولية للكرسي الرسولي وأظهر للبشرية كلّها آية قوة تخزنها الروح. على هذا المستوى الرفيع، ها هي آسيا تخرج تدريجياً من عزلتها. والصين، مثلاً، هي منذ عدة سنوات ممثلة في وسط مجمع الكرادلة حيث شرقنا - الأدنى لديه الآن مكانة جدّ رفيعة (وحيث هو مدعو لتعزيرها أكثر). ومن الملاحظ وجود عددٍ متزايدٍ من أبحار الكنيسة، من كل الأعراق، ومن كلّ الأصول. وفي الوقت عينه، صار واضحاً بأن على جميع اللغات أن تصبح مألوفة لدى الأمم والتي، بالإضافة لكونها في خدمة الثقافة والعلم، ستكون في خدمة الإيمان. إن الكنيسة ذاتها تتكلم كلّ اللغات، كذلك فإنّ كلّ المصطلحات اللغوية تعلن، كما في جوقة ذات أصوات متعدّدة، شهادتها ومحاورتها وإنشادها لمجد الله.

إنّ الاتصالات، في إطار ما هو روحانيّ ومتّصل بالسياسة الدينية، والتي تتكاثر بين قارة وأخرى، وبين بلد وآخر، هي في ما يعلو على مخاطر هذا الزمن، وعد بالسلام والأخوة.

أجل، بارتياح جدّ مؤثر تبليغ كل الشرق خبر المقابلة بين صاحب الجلالة أمبراطور إيران وصاحب القداسة بيوس الثاني عشر في كاستل غاندولفو.



بالتأكيد، إنه لجميل أن نمتلك قلباً كبيراً وأن نأمل في أن نأسر العالم. ليس نحن من سيثبّط الهمة إزاء مطمع نبيلٍ أم إزاء مثالٍ في طريق التحقّق. ولكن، أية علاقة يمكن أن تتوجد، بعد، بين مجهود بطوليّ في خدمة البشريّة المنهوكّة والمؤامرات السوداء الصغيرة واليوميّة ضد القريب (أو ضد البلد المجاور) التي يحوكها كل واحد، والتي لا

يعترف بها أحد إلا وهو يرتجف؟

إنّ أمثلة الحروب الحديثة، أمثلة الدمار والموت العنيف والسابق لأوانه تبدو فعلاً غير محفوظة. إنّها ذات الأفكار، وذات الأطماع، وذات الغرائز الفظة التي تعمل فينا دائماً. والحال هذه، لا يمكن تصحيح ذلك إلا بارتقاء للروح، وباعتناق نسبيّ من الماديّات إلا ما يفرضه الاقتصاد السياسيّ تحديداً؛ وأخيراً بتحرير الإنسان من جملة الأفكار المسبقة التي ترهقه والتي تنتزعه من دعوته التي ولا أسمى.

هل يوجد شخص ما، قد يتكلّم عن هذه الأمور أمام الأمم المتحدة في باريس في معرض الكلام على السياسة العامّة؟ إنّ هذا لضروريّ بالتأكيد. وبخصوص هذه الأمور، على الأقل، فإنّ الأمم الصغرى هي أكثر أهليّة من الأمم الكبرى.

إنّ مذهب الماديّة العميق الذي يجتاح الغرب، أدّى إلى فقدانه التوازن بفعل الاستخدام السيئ الذي يمارسه بالنسبة لحضارته الخاصة، ولكن، حتّى في منتصف الليل، فإنّ الأنوار لا تزال تلمع أيضاً. من أجل تنوير الجمعيّة العامّة للأمم المتحدة في باريس دعا قداسة البابا بيوس الثاني عشر جميع البشر إلى الصلاة.

ليس من الأجدى أن ننقذ أنفسنا مسبقاً بديل أن "نتعلم ثانية" بأن نصلي؟

3 أيلول 1948

## الحق بالحياة

إيطاليا، ألمانيا، اليابان، وبلدان أخرى مكتظة بالسكان أيضاً، تفتش بحق، اليوم، كما بالأمس، عن مخرج لمشكلاتها الديمغرافية.

لم يعد مطروحاً موضوع المجال الحيويّ. هذه الكلمات، مع أنّها موجهة، ثم أصبحت جدّ مشبوهة، فقد أدّت إلى ما هو معروف. المطروح بكل بساطة هو الفطرة السليمة.

إذا لم نوجد حلولاً طوعاً، فسنأتي الحلول في يوم ما بالقوة. ذلك أنه، في إطار المفاهيم الاجتماعية اليوم، لا يمكن تصوّر شعوب تعاني من سوء التغذية ووضع الاختناق، وشعوب أخرى غير قادرة لقلة سكانها، على استثمار مساحات أرضيّة شاسعة لديها.

إنّ حق المحتلّ الأول محدّد بالعقل، وبالضرورة، وبالوضع البشري. وفي هذه المادة يمكن التكلّم أيضاً عن تعسّف في الحق. والحق لم يوضع لكي يُساء استعماله. لكن، من أجل إيجاد حلول لهذه المشاكل في إطار سلميّ، ينبغي أن تنتسب من الضمير البشري وأن تسود النية الحسنة وروح الأخوة. إنّنا بعيدون، بكل أسف، عن هذا النوع من التقدّم. وإنّ ما نراه هو النقيض تماماً.

في فلسطين المكتظة بالسكان، فرضت الأمم دولة اليهود والهجرة اليهوديّة الكاسحة والمساويّة التي ترفضها الولايات المتحدة في بلادها. في حين أن أوروبا الغربيّة، مثلاً، في سعيها لعمل مشترك برصد أموال ضروريّة، فإنّها تتقدّم في اتجاه ما هو منطقيّ وإنسانيّ.

في ما يتخطى قضايا الجنسيّة، فإنّ الإنسان، أيّاً كان، له الحقّ بنجدة أخيه الإنسان. ولا يُترك غريق يموت بحجة أنّه غريب عنّا. وما هو صحيح بالنسبة للأفراد ينبغي أن يكون كذلك بالنسبة للأمم. ما كنا

يصبح عملاً إنسانياً رقيقاً إذا لم تطبعه الولايات المتحدة بجملة عراقيل سياسيّة.

إنّها نجدة سيئة للفرد، تلك التي تجبره على التصرف ضدّ قناعته الأكثر قداسة، إنّها أشبه بمن يهتدي روحياً لقاء حفنة من المال، ومعلوم أية قيمة سلبية تعطى لمثل هذه الاهداءات.

باختصار، إن الشعوب الكبرى والصغرى، التي ليس لديها من حيث الأرض، الإمكانية لكي تكفي نفسها، لها الحق بأن تتفهّمها الشعوب الأخرى وأن تنهض إلى مساعدتها. من أجل هذا أنشئت منظمة الأمم المتحدة وبهدف



منع الحروب بتوزيع العدالة.

بكلّ وضوح، إيطاليا أولاً، ومن ثمّ ألمانيا واليابان لها الحق بالحياة. تجاه هذين المئتي مليون من البشر، وبعد كلّ الغضب المبرّر إزاءها، فإنّ على العالم بكامله الآن واجبات تجاهها، إذا كان يريد الأمن والسلام.

9 أيلول 1948

## اقتصاد "شاعري"

إننا في حقب زمنية عندما نتكلم فيها عن الاقتصاد السياسي، نكون برد فعل طبيعي مدفوعين إلى التفكير "باقتصاد شاعري".

إن الاقتصاد السياسي هو علم مثير من دون شك؛ إنه العلم نفسه الذي يستخدمه الإنسان في إزاء مشاكل الحياة المادية؛ وفي هذا الموضوع يجري استخدام النظرية إلى حد كبير، بحيث جرى الاستسلام لأساليب متطرفة من المنطق الجاف (الذي تعطي الماركسية عنه أمثلة بارزة)، كما أن حياة كل فرد قد عانت منه الكثير. ذلك أن الاقتصاد السياسي، على الرغم مما له من هدف محسوس، وواقعي، لا يمكنه أن يبتعد عن علم الروح دون أن يقع في الضلال.

إن الإنسان ليس مجرد آلة. إنه حساسية، إنه ذكاء، إنه ضمير؛ إن أشياء القلب التي يتغذى منها، والتي هي كتنفسه تماماً، يستحيل عزلها كلياً عن عبوديات الجسد، عن العبء المادي للحياة. ولا يكفي أن نجعل المسكن أكثر إضاءةً لنكون إنساناً سعيداً.

إن الصورة التي يقدمها العالم المعاصر، على صعيد الاقتصاد، سوف تؤكد الإفلاس العام للعلم الاقتصادي ما لم تقدم أميركا التصحيح لذلك من قدرتها ومن تراثها. فمن دون شك، لا يمكن لأي اقتصاد غير الاقتصاد الأميركي أن يواجه سنوات الحرب. لكن أميركا ذاتها، إذا لم تجتهد فتضع مزيداً من المثالية في رنتي الإنسان، سوف تواجه ساعة الامتحانات الصعبة. لقد تركت أزمة 1929، في الولايات المتحدة وفي كل مكان، ذكريات مرة.

ما نلاحظه اليوم يبين بوضوح أن الاقتصاد السياسي، إذا ما اقتصر على وسائله العادية، فإنه لم يعد كافياً أبداً؛ فبالرغم من المجال الذي يتمتع به (أو بالأحرى لأنه يتسع أكثر من اللزوم) فإنه يفتقر إلى التنفس. لقد صار تقنياً فوق الحد، وإرشادياً فوق الحد ليؤمن تغذية الإنسان. لقد مال به الأمر إلى التشبه، قليلاً بهذه المعشبات، بهذه المقام في الصيدليات، حيث كل شيء ميت. إن ما ينقص الاقتصاد السياسي هو الشعر، هو الحلم؛ كما ينقصه عدم القدرة على بث الحد الأدنى من الحماسة المفرحة في إنسان الأرض، وإنسان المصنع، والحرفي، والتاجر.

على أن الحياة المادية، وبفعل تعدد وتعقد القوانين، والآليات، والمشاكل والأرقام، وبسبب الجفاف المميت للإحصائيات والرسوم البيانية، لا يمكنها أن تتقدم من دون نشيد مفرح. وعليه سيضعف شعور الكأبة في المصنع، وستصبح الإضرابات أقل خطراً إذا ما ارتفعت فيها مجموعة أنغام معبرة، إذا أمكن لكلام موسيقي ما، هادي أو صاخب بحيث يوقظ في الإنسان معنى مصيره وهدف الحياة.

لقد أرفق زمن الاقتصاد الشاعري. ولن يكون بمقدور أي إنسان حساس أن ينفي ذلك. ومن هذه الزاوية بالذات يمكن جعل العمل أكثر نبلاً وأقل إزعاجاً. وهذه القاعدة تصح، ليس فقط على الصناعات الكبرى وإنما على الحانوت المتواضع أيضاً.

## ذكريات

من ذكريات الطفولة، بين عدة ذكريات، زيارة غليوم الثاني لبيروت. ففي نهار مشمس من العام 1898، أي منذ خمسين سنة بالضبط (كان ذلك في 6 تشرين الثاني)، وصل ذلك الملقب بأمير الحرب إلى مرفأنا الصغير والمنشأ حديثاً أتياً من فلسطين على ظهر يخت أنيق اسمه (Hohenzollern). كانت الأميرة برفقة. لكأنتنا نستعيد رؤيتهما اليوم من على سطح منزل لا يزال قائماً حتى الآن، تجاه مقرّ للشرطة. وهما يتجاوزان طريق الشام في عربة خيلٍ على خيب حصانين عربيين، كلهما فخر بنقل وريث فردريك باربروس (Barberousse). لقد جلبوا الولد الذي كُنْثه آنذاك ليرى المشهد من هناك.

كان امبراطور المانيا قد زار السلطان في اسطنبول (كان يُقال آنذاك القسطنطينية من دون إزعاج الأتراك)؛ ومن هناك ذهب بحراً إلى حيفا، ومن ثمّ لزيارة القدس.

إن رحلة غليوم الثاني اكتست معنى الرمز. كان يُراد أن يُرى فيها، بالإضافة إلى تأكيد "الصدقة الجرمانية - التركية" علامة الاهتمام الإمبراطوريّ بالأماكن المقدسة. كانت جالية المانية دينية وعلمانية قد بدأت آنذاك تحقق ازدهاراً في اثنتين أو ثلاث من نواحي فلسطين وقبل كل شيء في القدس.

من جهة أخرى، كانت هذه الفترة بالذات من أكثر الفترات تعقيداً في تاريخ العالم. مارشان (Marchand)، وكيثشير (Kitchener) وفاشودا (Fachoda) كانوا آنذاك أكثر الأسماء شهرةً في الكون<sup>(1)</sup>. وكانت الأمور على وشك التآزم بين فرنسا وإنكلترا وكان يجري الحديث عن كل ذلك في المنزل مع التأكيد على خطورة الوضع. والذي لم يكن آنذاك، بالنسبة لصغر سننا، سوى أسماء وكلمات حفزت صدمة، سيتحول حكماً، من بعد، إلى فصل في التاريخ.

ذهب غليوم الثاني والأميرة "بقطار خاص" (قطارنا الشهير المعروف بـD.H.P.). إلى بعلبك ومنها إلى دمشق وحلب بعد أن التقطت الصورة الرسمية في بيروت والتي أظهرت جماعة من المشايخ الدروز تحييهما. ومن بيروت، على ما نعتقد، سوف يبحران ثانية.

هذا "الماضي" الذي لا يزال حياً بالنسبة لنا، قد سقط في النسيان بالنسبة للكثيرين؛ لقد كُنّا آنذاك في عداد الذين يروي لهم آباؤهم أخبار حرب 1870 كما نروي نحن اليوم أخبار حرب 1914. من البديهيّ أنّنا، شأن هذا الشاطئ وهذا الجبل، قد اتخذنا قرارنا بالتحيز بعنف ضدّ المانيا. في ضوء هذا الوضع، كان مرور غليوم الثاني في بيروت مثيراً للقلق بالنسبة للعديد من لبنانيين تلك الفترة. فهذا البلد كان لا يزال ينشد بأعلى صوت وفي الهواء الطلق وتحت سقوف المدارس: "لقد أخذتم الألزاس واللورين ولكنكم لن تملكوا قلبنا أبداً!".

خمسون سنة مرّت كأنها مجرد هنيهة من الحياة. والمانيا أخذت لنفسها الوقت لتعلن حربين على العالم وتدفن الأمبراطورية تحت تلالٍ من الركام. غليوم الثاني، ومارشان، وكيثشير، إسمان لامعان لم يبقَ منهما، تبعاً، سوى شهرة الجنون والمجد. على ذكريات طفولتنا أن تستيقظ عندما تكون تستحقّ ذلك، إذا لم يكن من شيء فمن أجل أولادنا.

6 تشرين الثاني 1948

## عن سياسة خارجية من دون أو هام

لقد صار جلياً وجوب إعادة النظر في السياسة الخارجية في كل من القاهرة ودمشق وبغداد.

إن العالم العربي، في إزاء الذهاب أكثر مما ينبغي نحو الانعزال، فهو يكتشف أنه من الصعب جداً أن يكون لوحده. فالصداقات السياسية، كما التحالفات، لا نملك دائماً الخيار إزاءها. ففي وضع الضرورة نختار ما هو متوفر، وبين شرين نختار الأقل سوءاً. إن المكابرة إلى ما لا نهاية غير متاحة في هذا المجال والتاريخ مليء بالأحداث التي تؤكد صحة ما نقول. والسلسلة لم تبدأ بالتفاهم الجيد بين فرنسا الأولى والزعامة التركية.

مذ ذلك، فإن الشرق الأدنى يثير اهتمام القوى العظمى سياسياً واستراتيجياً واقتصادياً. ولكن، على صعيد الأمة، ما هم اليهود وقد احتلوا مكاناً فيه. وإلى العقدة التي لا تحل أضافوا عدة عقد. وأما أولئك الذين حققوا هذا العمل الباهر فسيندمون عليه عاجلاً أم آجلاً؛ ولكن الأمر الواقع هو هنا بكل قسوته.

الآن إذن، علينا بالتكافل والتضامن، القاهرة ودمشق وبغداد ونحن بالتأكيد، أن نرجع عن المسار الخاطيء الكلام. إن عالم الجامعة العربية قد استنتج، على حسابها، أنه ليست الخطب المملة هي التي تصنع السلاح؛ وأن مفردات اللغة الأكثر إثارة تستنفد على عتبة ترسانات التسلح. من أجل هذا فإننا نطلب اليوم من بلدان الجامعة أن تتحسس بوضوح أكثر حقيقة ما يحدث، وأن تستدرك الحالة ببذل جهد لتقدير ما يحدث، وأخيراً أن تلتزم بحد من المنطق.

إن الغرب قادر، في السياسة، أن يمارس جميع ألعاب المقامرة؛ ولكن، ليس هذا سبباً لكي تكون دول الجامعة العربية على علاقات سيئة مع الأمم العظمى وأن تقوم بإقلاق هذه الدول الواحدة تلو الأخرى، في حين أن هذه الدول العربية ملتزمة بنضال دفاعي ضد إسرائيل. لا نريد هنا أن نقوم السياسة البريطانية، والسياسة الأميركية، والسياسة الفرنسية، والسياسة الإيطالية، والسياسة الهولندية وغيرها. ما نقوله إن علينا نحن، بلدان الجامعة العربية، أن تكون لدينا سياسة خاصة بنا، كي لا نكون خاسرين على كل الجبهات، وأن لا تكون هذه السياسة مجرد عواطف وحذقات كلامية.

كلنا نعلم، منذ زمن بعيد، أنه لا مكان للعزلة في هذا العالم. فإذا كان صحيحاً أننا غالباً بحاجة إلى ما هو أصغر منا، ففي أكثر الأحيان نكون أيضاً بحاجة إلى ما هو أكبر منا. وسيكون هناك ما يكفي لزعة أسس الشرق الأدنى إذا ما ارتجلت الحلول فيه على أساس حسن الحظ وسوء الحظ.

عندما يقوم اليهود بخرق الهدنة بوقاحة بعد اغتيال الوسيط<sup>(1)</sup>، ومن ثم يحصلون من أي بلد في أوروبا على السلاح بالكميات التي يرغبون، فإنه من حق مصر مثلاً (كما هو من حقنا)، بل من واجبها، أن تتسلح بمقدار ما تستطيع، وأن تدافع عن نفسها كما تستطيع. ليس علينا نحن أن نقول لأصدقائنا المصريين ما الذي يناسبهم وما الذي يحتاجون إليه. إننا حريصون على ألا نتعدى على اختصاص رجال السياسة لديهم. ولكننا نعتقد أنه حان الوقت لأن تتمالك مصر نفسها ثانية، مصر أولاً، مصر البلاد الأولى في الجامعة العربية لأكثر من سبب، وأن تولف بكل شجاعة جبهة تواجه بها صعوباتها، وأن تقيم هي وبقية دول الجامعة الوضع الحاضر بمزيد من الواقعية. إن موقفنا مجتمعين هو الذي يحدد مستقبلنا.

## اتفاق مُفرح

ها قد تمّ رسمياً عقد اتفاقات ثقافية مع اليونان. وهكذا، إضافةً إلى روابط المحبة، تُزاد تلك التي تخلقها الآداب والعلوم والفنون. كل هذا، وبحق، هو من التاريخ القديم. ولكننا نتكفل بالعمل على التعريف أكثر بهوميروس، وسوفوكل، وأفلاطون، وأرخميدس، وفيدياس، وبراكسيتل، وإلى الإعجاب بهم وتقديرهم أكثر. حمداً للآلهة التي سمحت بعودة متطابقة تماماً مع النظام الثقافي ومع طبيعة الأشياء.

من جانبها، تلتزم اليونان بالتفتيش في تراثنا، على أمل أن تستخرج منه المزيد من القيم التي هي من طبيعة القيم التي نطلبها منها. ومثل هذا يمكن تحقيقه، إذا ما اتخذت الكلمات شكل وقائع الحياة، ويتبادل دائم للأشخاص والأفكار، والحقائق والعواطف، وبمبادئ نبيلة وصور جميلة.

إنّ الخطب المتبادلة بين وزير الخارجية والتربية الوطنية في لبنان والقائم بأعمال اليونان تستعيد ماضياً بعيداً ومجيداً إكراماً للحاضر. لكأنما قدموس يسافر مرة ثانية إلى طيبة أو كما لو أنّ أرسطو يزورنا عبر شروحات ابن رشد.

هذا بالذات المعروف "بابن رشد" في لغته، والذي، من دون أن يعرف اللغة اليونانية، نشر في الغرب كما في الشرق فلسفة وعلم ابن مقاطعة سناجيريت<sup>(1)</sup> (Stagirite) في مقدونيا، لسوف يفرح في الأبدية. فعبر الأندلس وقرطبة كان قد أسمع صوته لكي يجعل الفكر العربي متألّفاً مع الفكر اليوناني.

وهكذا فإنّ اللغات بعد البشر تخرج من العزلة؛ وعليه، فإنّ آداباً وفنوناً، كالتي أزهت سابقاً على أطراف البحر نفسه، تقرّر مجدداً أن تتزاور وأن تشبك الأيدي. ولئن كانت الهلينية، قبل كما بعد الإسكندر، قد شغّت بشكل رائع على العالم، فالصحيح، أنه بما يعنينا، علينا أن نردّ الجميل، وأنه، كما في الماضي، سنأخذ منها حصتنا في حياتنا المعاصرة وإنه لرائع أن يصدر عن العالم العربي باتجاه اليونان توك جديد إلى جمال الروح وجمال الخطوط، مصحوباً بالشعر والأحلام.

إنّ اتفاقنا الثقافي مع اليونان يبدو كما لو أنّ أرسطو وابن رشد بذاتهما قد وقّعا؛ آداب، علوم، فنون: إنّ فيه المفردات النبيلة للأشياء التي يحبّانها.

إنّ لبنان، وسوريا، ومصر، وتركيا كلّها تكلمت اليونانية لعدة قرون. وإنّ العهود الهلينية، في آسيا الغربية، كما في إفريقيا الشرقية، تبقى على الصعيد الثقافي بين أكثر العهود إثارةً للنفوس. ويمكن العثور على هذا في اليونانية حينها مألوفة يونانو-بودية متناسفة. هذا الملك العربي في دمشق، أريتاس (Arétas) - الحارث - يؤثّر فينا حتى اليوم، إذ وضع على نقوده بالذات تعبير فيلهيلين (Philhellène) (با يعني محبّ الهلينية)، ولذا تبقى متمسكين بتظاهرات الفن والليتورجيا حيث العربية واليونانية تتعاقبان أو تتمازجان.

هذه الأحداث السعيدة، هذه الذكريات الكبرى، إنّما نستعيدها بطيبة خاطر. وفي عملية التقارب بيننا وبين اليونان، على الصعيد الثقافي، إنّما نوّدي رسالةً من الجهتين. إن العالم أصبح صغيراً بحيث أن البحر الداخلي لم يعد سوى بحيرة ترطبّ المشرق العربي كما تبلّل الغرب بالهلينية.

من كل دول أوروبا، فإنّ اليونان هي الأقرب إلينا. وأمام مفهوم آخر للعالم، أصبحت اليونان ثانيةً السور الذي كانته زمن أحشورش (Xerkès). بالنسبة إلى الدول العربية، اليونان هي صديقة وحليفة طبيعية. ولبنان، على ضوء تذكّره كل ذلك، وقّع اتفاق الأمس. وبفرح عارم نشيد بجدارة ممثلي اليونان في لبنان، كما نهئى أنفسنا بذلك. ولكن ألا يكفي أن ننظر إلى الخريطة لكي نرى أن المتوسط أصبح غير قابل للتجزئة على الأقلّ ابتداءً من البحر

الأيوني (Ionienne) وبلاد الهلاد<sup>(2)</sup> (Hellade)؟

## وجوب كتابة ثانية للتاريخ

يبدو لنا أنّ السياسة العامّة، في البلدان العربيّة، ستصبح أكثر وضوحاً وأكثر تأكيداً إذا ما جرت دراسة أفضل، ومعرفة أفضل لِماضي الشعوب التي سكنت هذه البلدان، وإذا لم يستمرّ الذين يحكمون هذه البلدان بإطلاق الادّعاءات وأن يتوقّفوا عن أن يمارسوا الحكم في ما هو عادةً ضدّ المنطق وضدّ التاريخ.

خمسة قرون من الإمبراطوريّة العثمانيّة، بعد قرنين من التّتر، خمسة قرون من الظلام خنقت الأفراد والقيم، وتستمرّ في الضغط على مصيرهم.

على أنّ القرن الذي نحن فيه، مختلف جداً عن القرون التي سبقتة؛ فهو يحوي بما لا يُقاس، روحاً نقديّة، وهو أكثر تطلباً، وأكثر "واقعيّة". فهو يمتحن بشغف الجماعم والآثار. وإذ هو على عجل لكي يستوعب المغامرة الطويلة للبشر، فإنّه بحاجة إلى تواريخ، وإلى أرقام وإلى إيضاحات وإلى أحداث.

ولكن، في البلدان العربيّة، وبعد فترة طويلة من اللامبالاة، يتمّ الانقياد لتحديد كلّ شيء ضمن المرحلة الزمنيّة الممتدة من الأمويين إلى صلاح الدين وإلى العباسيين (كما لو أن الفرنسيين يقصرون ثقافتهم على أجيال ما بين بيبان القصير (Pépin le Bref) وفيلب-أوغست (Philippe-Auguste)؛ ومثل ذلك الاعتقاد مبنيّ على اعتبار العنصر البشري والاجتماعي ودوره في تكوين الأُمَّة بمثابة أمر لا أهميّة له أو ثانوي. لا نزال نعيش في التخيّل، والتوهّم والمطلق في هذه المنطقة من العالم التي نحن جزء منها، ذلك أن بعض الصور تسلّطت على خيالنا واستقرت فيه وكل واحد يستخدمها منذ طفولته البعيدة.

ومع ذلك، فإنّ كل التاريخ ملقى على أكتافنا؛ والبلدان العربيّة، كي تحلّ رمز مستقبلها، عليها أن تعرف أكثر كل حاضرها وكلّ ماضيها.

إذا ما فكّرنا في المستقبل، عمدنا إلى إجراء جردة الحساب هذه، وإذا ما اتّخذت مبادرات في هذا الاتجاه، وإذا ما تمّ العثور على الحقيقة التاريخيّة، وإذا ما تفجّرت، فسنرى كم أن دمشق وحلب هما مختلفتان عن بغداد؛ وأي عالم فصل بغداد عن القاهرة والإسكندريّة، وكم أن شرق الأردن هو غريب عن الادّعاءات التي تحاول أسرته المالكة أن تروّج لها؛ ولسوف نجد أصول الحضريين كما القبائل، والأعراق، والوجوه، والعادات، والأفكار، والمعتقدات، وكلّ هذا الذي يجعل أنه، ما بين الخليج الفارسي والمتوسط، مروراً بالبحر الأحمر، فإنّ كلّ العالم القديم هو حاضر وأنه متمثّل جسدياً وذهنياً؛ وبناءً عليه، فإنّ أية حكومة اليوم، حكومة مدركة لمسؤوليّاتها، لا تستطيع ألا تأخذ ذلك بعين الاعتبار. لكننا، على العكس من ذلك، نرى كيف أنّ الأفكار الأكثر خطورة، والمشاريع الأكثر اعتباطيّة تسهم في تعكير سلام العرب وتهديم بالدمار، من دون أن يقوم نقاش إلى حدّ ما صارم في الجغرافيا والتاريخ، بحيث يأتي لبيد الخطأ كما تترد أشعة الشمس الظلام.

سيكون هناك، حول هذه الطروحات البطوليّة، أكثر من أطروحة للتأمل والكتابة. في الوسط اللبناني حيث نعيش كأخوة، أم في الخارج، داخل الإسلام الشاب وفي الجيل اللامع الذي يتألّق، ألن يوجد عالم ما في طور النضج، ومفكّر جسور لهدم الفكر المسبق، وللانديفاع باتجاه البداهة، باتجاه الحقيقة وباتجاه الحياة، كما لو أننا نندفع باتجاه أحد الكنوز؟

## بين الماضي والمستقبل

يتكلمون قليلاً عن الجامعة العربية كما لو أنها اختفت. لكن هنيهة من عدم الحراك تكفي لأن تبدو الأشياء الأكثر حيوية وكأنها ميتة. فكم بالحري بالنسبة للأشياء التي لم تعش أو أنها لا تعيش إلا ضمن حياة من دون عمق. ففي قلب الجامعة، المظاهر والشكليات والتعبير الصوتية أعطيت من الاهتمام أكثر من الجوهر والأفعال. فخلال ثلاث أو أربع سنوات متتابعة، كانت البلدان العربية تتغذى بالكلام السياسي الفارغ، في حين كانت تعاني من الضعف. إن المؤرخ الذي سيكتب تاريخ الجامعة سيعبر عن دهشته وخيبة أمله. ولسوف يتساءل كيف أن حركة واسعة لا تُترجم إلا بأفعال قليلة. وكيف لهذا الكم من الأسفار والخطب أن تكون للوهى والهوى بديل أن تكون للفهم وللعمل.

ومع ذلك، فإن للجامعة العربية مكانها المؤكد بين ضرورات هذا العصر. ومع التحفظ الأكبر، لا يمكن أن يكون البعض، فإنها قادرة على أن تفرض نفسها بالفكرة السليمة الأكثر بساطة. ولكن الموقف غير المفهوم للأردن، خلال الصراع في فلسطين، وسلسلة طويلة من الدسائس في الأخطار، تكشفنا اليوم أن يمكن أن إجراء مقابلة بين بلدان الجامعة اليوم وما كانت عليه منذ ثلاث أو أربع سنوات، يعني إجراء جردة حساب لدين ليس له تقريباً أي ثقل مقابل.

إن البلدان العربية تجد نفسها ثانية في وضع أدنى مما كانت عليه في نقطة الانطلاق، مشككة بنفسها، ومثقلة بتجربة قاسية، ومهددة بحضور إسرائيل وفعاليتها المؤثرة.

لقد وجّه رئيس سوريا رسالة إلى ملك مصر تحمل علامة الروح السياسيّة والمناسبة لمقتضى الحال. فهو يجعل لمصر المكانة البارزة بين البلدان العربية، وهذا نفهمه جيداً. وهو يطلب ضمناً من مصر أن تستعيد زمام القيادة المبعثرة وأن تعود ثانية على رأس مشروع التفاهم. إن في هذا حكمةً وعقلانيةً ونحن سننضم إلى مسار بيرره موقع مصر ومركزها وإمكاناتها.

الآن يتوجب على مصر أن تدعو إلى عودة إلى النظام. ومن دون شك هل تراها قد فعلت مثلنا، فاستوعبت أمثلة الأحداث. ومن دون شك، هل ستعرف أن تتجنب المطبات حيث، هي وبعض الآخرين قد وقعوا فيها في الماضي القريب.

إنه الزمن المتاح لمصر كي تبني سياستها للمستقبل على وقائع الحاضر.

ومهما حدث في الجامعة العربية، فإنّ علاقتنا التقليدية بمصر ينبغي أن تبقى بدون تغيير. ذلك أن مصر هي حليفنا الطبيعي منذ أربعة إلى خمسة آلاف سنة. وعندنا، من جهة أخرى، ذات الأسباب كي ندعم العلاقات الممتازة التي تربطنا بملك العربية السعودية. هذه هي الفرصة لنا لكي نتقرب، أكثر ما يكون، من الأصدقاء المشتركين لسوريا ولبنان. ولا يعود إلا إلى العراق والأردن، اللذين لا نتمنى لهما إلا الخير، وأن يظلّ أصدقائنا أصدقاء لهما أيضاً.

## أبعاد السياسة المعاصرة

إنّ الأحداث الصغيرة لسياسة الأمم، والأنباء التي لا حصر لها الآتية من زوايا العالم الأربع، لا ينبغي أن تصرف النظر عن الأفكار الرئيسية السائدة، وعن الأحداث الكبرى التي تشهدها.

لقد صدّق مجلس الشيوخ الأميركي على الحلف الأطلسي بأكثرية ساحقة. وإيطاليا أعلنت انضمامها النهائي إليه. ومنذ فترة طويلة فإنّ انضمام فرنسا إليه هو مبدئياً مقرّر. من جانبه، فإن السيد بيغن (Bevin) أعلن في مجلس العموم أنّه ينتظر بفارغ الصبر ولادة البرلمان الأوروبي في ستراسبورغ. في هذا البرلمان تُعطى المكانة لألمانيا والتعبير عن الأمنية برؤية فرنسا وألمانيا تتصلحان في ستراسبورغ بعد حرب المئة عام. والسيد بيغن يردّد أنّ "وحدة أوروبا هي هدفه".

أين هي الانقسامات التي طبعت الماضي القريب؟ وهذا الكمّ من التحالفات، وهذا الكمّ من المعارك؟ إنّ حقيقة اليوم تختلف عن حقيقة القرن الماضي إلى الحدّ الذي لا يمكن معه قراءة التاريخ من دون نوع من الذهول.

إنّ الحروب الكبرى ساهمت في تقدّم الأفكار بحيث أن ما كان يبدو مستحيلًا بالأمس صار يبدو اليوم ضروريًا. فعبر التجارب المميّنة، تولد أوروبا جديدة، قريبة جداً من شرقنا الذي لا يمكن تصوّر سياسته من دونها. في هذه أوروبا وضعنا دائماً عقلاً عافياً وعاطفياً فرنسا في الصف الأول؛ ولكن القوميات الأوروبية لعشر سنوات فقط، أصبحت بالية

جداً أكثر من تلك التي للحرب بين ألب (Albe) وروما:

"ألب عينتك، فأنا لا أتعرف عليك أبداً!"

والولايات المتحدة تلتحم مع هذه أوروبا القديمة والتي كانت تظن أنّ بمقدورها أن تبتعد عنها كلياً منذ وقت قصير أيضاً.

حول هذه الوقائع الحاسمة، على لبنان، الغارق في موجة البرقيات، وعلى الشرق الأدنى معه، أن يوجّه الانتباه إليها. ويمكن التساؤل إذا ما كانت الجامعة العربية نفسها، الموضوع تحت اسم مأخوذ من الجغرافيا أكثر منه من علم الأعراق وعلم اللغات، ما إذا كانت مجبرة على التوسّع بعد صراعاتها، إلى حدّ أنّه بعد مآسي الأمس، فإنّنا نتحسّسها في عنق الزجاجة كما هي حالها الآن.

على البلدان العربية أن تعيّر مفهومها للعالم؛ وأن يكون في لغة الاستخدام لديها صيغة جسورة ومنطقية بحيث تعطيه ثقة أكثر رسوخاً حول قيمة الصداقات الدولية، وحول تضامن الأمم.

فلنتجنّب أن نقع في شرك الوسوسة الناتجة عن صعوباتنا الصغيرة العارضة. لقد جاء دورنا كي نقوم، جيراننا ونحن، بدور أكثر جدية في العالم.



## حدود روجية

هذه هي العبارات الأولى من مقدمة المؤلف الحديث للسيد رينه غروسيه (René Grousset) بعنوان "إمبراطورية المشرق": "إن تاريخ المسألة الشرقية، لا يبدأ كما يُظن عادة، في القرن السابع عشر. فلكي يكون معقولاً، ينبغي أن يمتد من المرحلة الهلينية حتى الأحداث الحاضرة.

"لقد سعيت في سياق هذه الروحية، أن أتابع تطوّر الحدود الروحية والسياسية بين أوروبا وآسيا.

"إني أعرف أوروبا بأنها مجموع البلدان الوارثة للثقافة الهلينية".

إنها مناسبة للتذكير بأن القارات والبلدان لديها حدود روجية؛ وان العربي ابن رشد (Averroès) هو أفضل من شرح أرسطو.

إن الأزمنة الهيلينية، التي تمتد من الإسكندر حتى الفتح الروماني، تطابق تاريخ الشرق الأدنى بكامله طوال ثلاثة قرون تقريباً. إن تركيا الحالية وسوريا ولبنان وفلسطين ومصر هي في واجهة هذا المشهد.

إن تاريخ المسألة الشرقية هو، في العمق، تاريخ مسار. حول هذا المسار، فإن الحدود الروحية والسياسية تنقلت كما لو كانت شيئاً

حيًا وهو في حركة دائمة.

يمكن القول إنه إذا كانت الحدود الروحية للعرب هي في الأندلس، فإنّ حدود الغرب هي على الفرات، بعد أن بلغت بكتريان<sup>0</sup> (Bactriane) والهندوس وكراتشي (التي هي مرفأ الاسكندر)؛ وإنّ الأمثلة الافتتاحية للمحترم الأب بوادبار (Poidebard) في 16 تشرين الثاني، في معهد الآداب الشرقية حول السياسة الشرقية لأباطرة الرومان تساهم في الإضاءة على الموضوع للمرحلة اليونانو – رومانية.

ربّما يكون قد حان الوقت لإعطاء "الحدود الروحية" أهميتها في تدريس التاريخ، وما ذلك على الأقل إلا من أجل سلام العالم. ذلك أن مطامع السياسة قد شوّعت التاريخ. وبهدف إصاق علامات تعسّفية للشعوب كما للأمم، فقد جرى الإضرار بالمناطق الأكثر شهرةً في الأرض. إنّ بلدان الشرق الأدنى تُعدّ بين البلدان الأكثر معاناة من التأويلات المغرضة للدبلوماسية.

إنّ الشرق الأدنى، الذي هو مركز التاريخ العالمي منذ البدايات، ونقطة انطلاق الحضارات، له هو بالذات حدوده الروحية في كل الدنيا. وأنه بهذه الصفة يصحّ التعريف الذي يقترحه السيد رينه غروسّيه لأوربا.

إنّ دراسات كهذه ينبغي أن تُتابع داخل العالم العربي. فلسوف تساعد بقوة على قلب حواجز الغباء وان توقظ روحية جديدة. نحن لسنا غرباء عن بعضنا. فالغرب والشرق الأدنى لديهما كل ما ينبغي للعيش بصداقة حميمة وبمودّة؛ وهذا ينطبق أيضاً على الشرق الأدنى وآسيا. نحن الذين على المسار (وجزئياً المسار ذاته)، إنّ دورنا المؤكّد هو أن نقوم نحن باستخدام هذا المسار.

24 تشرين الثاني 1949

## سؤال على جدول الأعمال

لا يمكن أبداً النظر إلى الخريطة من دون أن نحلم باتفاق ما بين الشعوب المتوسطية. إن جامعة البلدان العربية التي لم تعد أبداً تكفي نفسها بنفسها صارت بحاجة للتعويل على شيء آخر. إن نظاماً متمماً يفرض نفسه إذا لم نشأ أن تستنفد الالة العربية قواها إذا ما تركت لذاتها.

إن بلدان الجامعة العربية، سواء كانت متوحدة جداً، أو متفرقة، فإنها ستظل، من جهة أخرى، ملزمةً بسياسة غريبة. هذا ما نراه بجلاء عبر المعاهدات السارية المفعول وعبر المفاوضات الجارية.

ما هي التشكيلة التي ستكون الأفضل لصالح الجميع وللاستقرار الجميع؟ إنه سؤال يستدعي بحثاً معمقاً من الآن فصاعداً. فالهدف ليس هدف تيقظٍ ودفاعٍ فقط، إنه هدف رفاهٍ وحضارة.

في الأزمنة التي كان فيها المتوسط كلّ الكون تقريباً، بلغ الفينيقيون اسبانيا؛ وبعدهم بألف وخمسمائة عام بلغ الفتح العربي اسبانيا بدوره: وفي غضون ذلك، كانت الإمبراطورية الرومانية قد غطت المتوسط بكامله. على امتداد التاريخ كانت للمتوسط شخصيته على الصعيد السياسي، وكان له وجهه وهذه الشخصية ظاهرة لديه اليوم بوضوح أكثر. وسواء شئنا ذلك أم لا، فإن كلّ بلد مشاطئ للمتوسط يستشعر أنه متضامن مع الآخرين؛ ولا يمكن في ذلك، وبكل بساطة، أن لا نبالي بمصير الآخرين من دون أن نجد أنفسنا مهددين بحياتنا الخاصة.

من الواضح أن المتوسطيين لا يحتكرون المتوسط. فالمملكة المتحدة موجودة فيه، والولايات المتحدة حاضرة فيه، والاتحاد السوفياتي يظهر أكثر فأكثر أنه ليس غائباً عنه. وأن توجد مصالح إكسترا متوسطية مشروعة في المتوسط، فهذا ما يعترف به الجميع؛ ومع ذلك توجد دول لديها اهتمام به أكثر من غيرها؛ وبشكل خاص أولئك الذين يرون في هذا البحر واجهة منزلهم بذاتها، تلك التي منها يأتيهم الأفضلان: الهواء والشمس.

في مناسبات مختلفة، جرى الحديث في هذه الأعوام الأخيرة عن اتفاق "انتر - متوسطي". ولطالما قاموا بذلك في كلّ مرة بدت فيها فكرة الانعزال أو الحيادة فكرة أكثر وهمية وأكثر عبثية. فحتى في حال عدم وجود أي خطر مداهم، أو أي قلق حتى هذه الساعة، من الضروري العودة إلى طرح هذا الموضوع. إن ما يستدعي ذلك هو إلغاء المسافات كما يستدعيه تقدّم الزمن مع تقدّم العالم.

إنّ مشروعاً كهذا يحتمل أكثر من حلّ. وإذ نتذكر أن تركيا تفاوض في  
استراسبورغ، علينا أن نضعه أمام أعيننا، علينا أن نحلم به.

أول نيسان 1950

## كلام حول الأمن الجماعي

مهما كانت النية الطيبة كبيرةً لدى كلّ الفئات، فإن "ميثاق الأمن الجماعي" لبلدان الجامعة العربيّة سوف يُختزل، من دون شك، إلى شيء غير ذي قيمة. في موضوع كهذا لا يمكن الاعتماد إلاّ على سياسة القوّة التي نملكها.

خلال حرب فلسطين، بدت فكرة الأمن الجماعي لبلدان الجامعة أكثر وهميّة من السراب. والمطامح الخاصة جعلت منها ما أمكن رؤيته بأّم العين.

والحال هذه، سيكون من الصعب جداً التصرّوً بأنه خارج حرب عالميّة، سيكون ممكناً بروز مشكلة في الشرق الأدنى أخطر من حرب فلسطين. أما بخصوص التعاون الاقتصادي بين دول الجامعة، فيمكن الاستنتاج بسرعة أن الجهود الأكثر تقديراً لن توصل إلى أبعد من تعابير عموميّة وصيغ مبهمّة. وهذا أمر، إلى حدّ ما، لا مفرّ منه.

لا نودّ أن نعني بذلك أن العمل الذي تقوم به الجامعة لا قيمة له. نقول فقط إنّه لن يؤدّي إلاّ إلى ممارسة الصبر. فهو يشبه سجّادة بنيلوب<sup>(1)</sup> (Pénélope).

إذا ما كانت دول الجامعة تواجه الأمن الجماعي كما يواجهه

موقعو الحلف الأطلسي، فهذا لا يتطابق إلا مع الوسائل التي تتمتع بها الجامعة؛ وهذه الوسائل هي ما هي عليه. جميع اجتماعات وزراء الخارجية، معطوفةً عليها اجتماعات وزراء المالية للشرق الأدنى، سوف لن يغيروا فيها شيئاً. فقد توجد الإضافات التي لا تؤثر أبداً.

نحن من أولئك الذين كانوا يفكرون أنه من الضروري إنقاذ الجامعة العربية بأيّ ثمن؛ ونحن من أولئك الذين فكروا دائماً أن المعنى العميق للجامعة هو رمزيّ أكثر منه واقعياً. فما الذي نستطيعه فعلاً ضدّ طبيعة الأشياء؟

إذا شئنا أن نمتلك القوة، ينبغي أن نفكّر عنها حيثما توجد وليس في داخل آلة حيث البلد الكبير الفلاني يرفع، في آن واحد، مصالح متناقضة حكماً؛ هذا من دون شك مشروع؛ ولكن ما الذي ستكون عليه الجامعة في وضعيّة كهذه؟

إنّ الدفاع الوحيد ذو الأهميّة لا يمكن أن ينشأ إلا عن تنسيق وسائل أكثر قدرة. فعندما سيصبح الدفاع الجماعيّ، الشامل أو الجزئيّ عن المتوسط، حقيقةً محسوسة، عندها سيأخذ الأمن الجماعي بالنسبة لأهمّ دول الجامعة، معنى أكثر جديةً. حتى الآن، ما يجري أشبه بالجمع بين الرماح والجمال وبين الدروع والمقاليع.

صحيح، أن هذا أو ذاك من بلدان الجامعة هو بصدد تحسين تسلّحه بإنفاق مفرط، ولكن إلى أين سيؤدي هذا المسار؟ عندما تكون مبالغ كبرى نسبياً قد صُرّفت، فما هو المعادل لها في عدد

الفرق العسكرية ذات النوعية العالية التي يُحتاج إليها؟  
إننا نعيش في زمن، من الحيوي فيه أن ننظر إلى ما هو أبعد؛ ومشروع  
الدفاع الجماعي، كي يكون له معنى، ينبغي أن يتخطى عديد القوى المسلّحة مجرد  
التطواف بالمشاعل.  
إذا شئنا أن يكون لميثاق الأمن الجماعي لبلدان الجامعة أن يكون للجامعة  
ذاتها الحدّ المطلوب من التماسك، ينبغي إجراء التطعيم لهما على جذع أكثر  
صلابة.

في فلسطين، خاضت الجامعة الحرب بالكلام. وليس بالكلام يمكن أن نعالج  
مشكلة الأمن الجماعي الأنتر - عربي، ولا القضايا الفلسطينية الشديدة الخطورة، والتي لا  
تزال معقّقة والتي تضيع قليلاً داخل الظلام.

في مقابلة حديثة مع صحيفة تصدر في باريس، أعلن السيد ياكوف  
ميريديور (Yaakov Méridor) مساعد القائد السابق للإرغون (Irgoun) وعضو في  
"الكنيست"، الذي هو البرلمان الاسرائيلي: "في ذهابه إلى أورشليم تحت ضغط  
الإرادة الشعبيّة، وإقامة مركز الحكومة والبرلمان فيها، فقد ألزم السيد بن غوريون  
نفسه بالذهاب إلى ما هو أبعد. إنّه من غير المعقول أن تقيم الكنيست والوزارة فترةً  
أطول تحت نيران المدافع الأردنيّة. فإمّا علينا العودة إلى تلّ أبيب، وإمّا علينا  
تحرير أورشليم بكاملها. وعندما تعطى الإشارة لن يكون بمقدور أي شيء أن يوقفنا  
قبل أن نصل إلى نهر الأردن...".  
إنّ اللبيب من الإشارة يفهم!

13 نيسان 1950

## سفير أميركي في رحلة

لقد أعلن أن السيد جيفرسون كافري (Jefferson Caffery)، سفير الولايات المتحدة في مصر (وقبل ذلك سفيرها في فرنسا)، سوف يزور بيروت ودمشق وبغداد.

السيد جيفرسون كافري يتمتع بميزة شخصية فذة. فهو ينسق السياسة الأميركية في الشرق الأدنى. إنه أميركي، يُعدّ، كما يُقال بين الأكثر حساسية لمشاكل هذا الشرق الأدنى وللهاجس الأساسية التي تفرّقه.

من المفرح أن ترغب الحكومة الأميركية في التعرف أكثر على المشاكل الجديدة التي تجعل، حتى الساعة، من المنطقة التي نعيش فيها، المختبر الذي هي عليه. إنه لحسن أن يتمكن من أن يقيم على الأرض، توجهات الدبلوماسية الأميركية في هذه البلدان حيث تنمو باستمرار حركات متناقضة.

بعد إجراء الاستقصاء، فإنّ السيد جيفرسون كافري سيكون مدعواً ليفكر عن قرب، في السياسة الشرق أدنوية لبلاده. وسيتساءل، من دون شكّ، إذا كان طبيعياً تسليح إسرائيل إلى هذا الحدّ، وبذلك إرغام دول الجامعة العربية على طلب أسلحة لم تسلّم بعد. فما الذي ستخدمه هذه الأسلحة في هذا الجانب أو ذاك؟

إنّ أميركا لا تواجه موضوع استئناف البلدان العربية الأعمال العدائية ضد إسرائيل. ولا موضوع استئناف إسرائيل لهذه الأعمال: فالموقف الأميركي تجاه الأردن يؤكّد ذلك.

وفي حين كان يُراد للوضع في الشرق الأدنى أن تدخل في مرحلة الاستراحة، فإنّ ما يحصل هو العكس؛ إنه هذا السبق المحموم إلى التسلّح الذي يرخي بثقله على الموازنات، والذي سيتقلها أكثر فأكثر، في حين أن أميركا تتحدّث عن تجهيزات لرفع مستوى الحياة.

إنّه لتناقض صارخ، والسيد جيفرسون كافري الذي سينظر إلى المشهد من القاهرة، سوف يراه ضمن مظاهر أخرى.

نحن نعلم جميعاً، أن انكلترا وأميركا قادرتان على منع أي خلاف جديد بين دول الجامعة العربية وإسرائيل، أو بين بلد وآخر في الجامعة العربية. مرة أخرى، ما الجدوى من هذا الاستعداد للحرب؟ ما هي الفائدة من شراء هذه الأعتدة المستعملة والتي يمكن بسهولة التأكّد من عدم جدواها؟



إذا كان ردّ فعل السيد جيفرسون كافري كما كان ردّ فعلنا، فسيقول في نفسه إنّه توجد وسائل أكثر سلمية وأقلّ كلفةً للمحافظة على الأمن والسلام في الشرق الأدنى.

6 أيار 1950

## من جهة البحر

من الطبيعي أن يظهر علم الأسطول الفرنسي، من وقت لآخر، في المياه اللبنانية. هذا تقليد يرجع إلى زمن بعيد، ويحمل دائماً قيمة الرمز.

ذلك أن السنوات العشر المنصرمة، بل الثلاثين سنةً إذا شئنا، لم تغتبر مسار التاريخ. هناك روابط تتعدى الضرورات وصروف الحياة الوطنيّة والدوليّة. هناك مواقف عريضة في القدم لا يمكن أن يغيّر لها حدث معين مهما كانت درجة أهميته.

يمكن لأمبرال فرنسي أن يأتي إلى بيروت ويجد فيها نفسه في بلاد صديقة تماماً كما في زمن لويس الرابع عشر أو الأمبراطوريّة. إنّ أعلى ما حمله إلينا الاستقلال هو هذه الحرية في أن نعبّر هكذا من دون أن نربط ذلك بمصلحة ما كي نفعل ذلك. ذلك أن نفوساً حقيرة عملت طويلاً في هذه البلاد، لجعل المشاعر السامية رمزاً للعبوديّة.

لا شيء أكثر فظاعة في العلاقات بين أمتين صديقتين من تدخّل أشخاص قليلي الذكاء يعيدون كلّ شيء إلى مقاسهم.

من جهة البحر، فإنّ زمن سوء التفاهم قد ولى، الماضي الكبير وحظوظ المستقبل هي وحدها التي تبقى. وفي حين أنّه في دمشق بالذات، بعض رجال السياسة من الصف الأول يفكّرون هكذا، فمن الطبيعي النصح باعتماد لغة مباشرة في لبنان.

إنّ في ذلك دليلاً على امتلاك الشخصية بحيث لا نجرّ أبداً بالفكر المسبق والعاطفة، وباعتبار أن ذلك سمة الشخصيات الحرّة العاملة لبناء الدول وكتابة التاريخ.

إنّ "مونتكالم" (Montcalm) في بيروت، هذا اسم أليف علينا. إن الطراد هو قطعة بحريّة حديثة ذات خطوط مؤثثة؛ وإن ذكره المونتكالم هو ملحمة كندا وفيها فرنسيون وإنكليزيون يتأخرون البوح أن تتوجد قطعة

من ضمن الحياة العاديّة، بل شيء يحدث أشبه بعودة الفصول.

إنّ لبنان، ببقائه أميناً على تاريخه الخاص، لا يمكنه أن يجهل الواجبات التي تفرضها عليه الجغرافيا. هذه الواجبات يتقاسمها معه جميع البلدان العربيّة في الشرق الأدنى. مصر عليها مثل هذه الواجبات، وسوريا أيضاً. ويمكن القول إنّ الأردن لا يعرف واجبات أخرى. وكذلك العراق وعربيّة ابن سعود لا يمكنها أن تعفي نفسها منها. من أجل ذلك، فإنّ كل هذا العالم، إذا أراد أن يعيش، فعليه أن يتطلّع لجهة البحر وأن يقول في نفسه إنّ التضامن الدولي أصبح ضرورة لا غنى عنها.

البحر والفضاءات، لم يعد ممكناً العيش على اليابسة من دونها. من أجل هذا نرحّب دائماً بأصدقائنا وخاصة إذا ما تبعوا التقليد وجاءونا من جهة البحر.

7 حزيران 1950

## تقلّبات الجامعة

في مثل هذه الفترة، ينبغي الاهتمام عموماً بالجامعة؛ وليس هذا لمجرد الإرضاء فقط. فهناك مؤسسات دولية أكثر حيوية. إن الجامعة العربية، بفعل المصاعب التي تعانيتها، تبين بوضوح حدود قدراتها. فهي لا تستطيع أن تكون مفيدة لأي شيء إلا من خلال تقدير إمكانياتها. فإذا جرى تحويلها إلى مجرد مجمع علمي، فلا نرى خيراً في ذلك. فهذا يتوافق أكثر مع الدور الذي رسمه لها رجال السياسة في الشرق الأدنى.

إنّ تقويم ما لدى الجامعة يُظهر أنها لم تحقّق أية نتيجة إيجابية يمكن أن يحفظها لها التاريخ. وفي ما عدا الخطب، لم ينجز أي فعل يتعلّق بالهمّ الجماعيّ بشأن المستقبل. فالانتقال يتمّ من تأجيلٍ إلى آخر ومن ترقيعٍ إلى آخر. والاهتمام الأول لديها هو في منع أو إخفاء الخراب والتناقضات والاختلافات.

لقد عاشت الجامعة الاختبار الأكثر حسماً الذي يمكن أن تعرفه مؤسسة مثلها: إنّها حرب فلسطين. فكان المتوقّع في حالة محدّدة كهذه، تحقيق الحدّ الأعلى من التضامن ومن وضوح الرؤية. ولقد رأينا ما رأينا. وكانت النتيجة، أنّه في إزاء إسرائيل المتمكّنة بقوة والمسلّحة، هناك بلدان عربية متخاصمة، متفرّقة، وفاقدة لسمعتها.

مجدّداً، نحن أمام عملية فحص ضمير في القاهرة. وأية عقول، بين الأكثر شهرة في العالم العربي، ستقبل بإبقاء هذا الأردن في قلب الجامعة وهو، بعد زعزعة المؤسسة من أساساتها وتدمير صيتها، يرتضي الآن الأمر مكرهاً فقط لكي ينقذ المظاهر.

والحال هذه، فلن يطرد الأردن من الجامعة ينبغي تأمين الإجماع من دونه. وهذا الإجماع غير متوقّع فهل من الجامعة؟ لا أحد يصدّق ذلك. فمصر هي رأس المؤسسة. فلن ذهب مصر فسيحذو الآخرون حذوها وستصبح الجامعة عندئذ مجرد ذكرى. ولكن هناك قوى متنوّعة تعمل على إنقاذ الجامعة؛ وواجبنا أن نعمل ما بوسعنا من أجل هذا الإنقاذ؛ وهذا ما ستفعله سوريا أيضاً.

مهما تكن الصعوبات فسندرى الجامعة تتخطّى الأسوأ؛ والذهن الكلاسيكي المتوقّد سينقذها من الوقوع في ورطة مرّة أخرى، وسوف نجد أنفسنا أمام هذه الواجهة الشهيرة، وخلفها الإخفاقات والتوهّمات التي لا تحصى.

لكن، فليقلّ لنا: هل بواسطة آلة مثلومة إلى هذا الحدّ سيولد الشرق الأدنى من جديد؟ ألم يحن الوقت للتفكير، بشكل أكثر جدّية بمصير بلدان منغمسة إلى هذا الحدّ بسياسة العالم، ومهدّدة في داخلها كما الدودة وقد سكنت في قلب الثمرة؟

## أمثلة الأحداث

إنّ الأميركيين بصدد تحقيق اكتشاف. وهو أنّه لا يكفي أن نسلّح الشعوب، بل المطلوب أكثر، وهو أن يرغبوا في الدفاع عن أنفسهم.

ليس إعطاء أمة مدافع وطائرات ودبابات هو كلّ شيء. ينبغي أن يكون القلب حاضراً فيها وأن تكون الروح مخصّلة، وأن تتوجد الإرادة للدفاع عن بيوتها، وميرّرات حياتها وآلهتها البيئية.

يبدو أنّ ما اكتشفه الأميركيون قد هزّهم بما يكفي، إلى حدّ تشويش واقعهم النفسي. وها إنّهم يدركون أن هناك من يقاوم، من يقاتل، مستعيناً بقوة روحه أكثر من أدوات الحرب. وإنّ مقترحاتهم لأكثر من أمة سوف تصبح، في نهاية المطاف، باطلة أو خطيرة. أجل، إنّهُ لمخيف تسليح أولئك الذين بسبب خوفهم يذعنون لتجريدهم من السلاح. هذا يعني مضاعفة قوة الخصم عشر مرات عندما نضيف إلى وسائله تلك الوسائل التي لم نحسن نحن استخدامها.

هل تكون نقطة الضعف في الأريحية الأميركية في كونها لا تذهب إلى ينابيع الإحساس، وأنّها لا تثير بما يكفي المشاعر الأكثر نبلاً؟ نحن لا نرغب في ذلك بالنسبة لبلد كبير هو اليوم دعامة العالم.

لكن يبدو لنا أنّه لا السيد ترومان ولا ناظرو الخارجية المتعاقبون لديه قد قاموا بما يكفي لتحريك الأوتار الأكثر عمقاً من تلك التي تتحرّك أو لا باعتمادات بالدولارات. وفي حين تذهب الأريحية المادية بعيداً جداً، فإنّ أريحية القلب تبقى ضمن حدود ضيقة. وكل ما يرفع النفس نحو الآفاق العليا من المصير البشري تمّ إهماله.

والحال هذه، فليست الوسائل "العملية" وحدها هي التي يُحسب لها حساب. ينبغي أن نحافظ على ثقة الإنسان بحقه وثقته بالوصول إلى حلّ سعيد. وأن يقول دائماً في نفسه إنّ رجلاً واحداً يمكن أن يغلب كثيرين إذا كانت لديه الوسائل الحاسمة في الإيمان والذكاء والشجاعة. هانبيعل في كان<sup>(1)</sup> (Cannes) بأربعين ألف رجل "طوق" ثمانين ألفاً. آخرون كانوا سيرفضون القتال، حيث القائد الملهم بواحد ضد اثنين، أمكنه بكل عزم أن يحقّق النصر.

ما هي الفائدة من أسلحة لا نعرف أن نستعملها أو نرفض أن نستخدمها؟ إنّ الاعتمادات بالدولار لن تتمكّن لوحدها أبداً من إظهار البطولة.

في عودة ضرورية لواقعنا، فننقل إنّ لبنان، كأيّ بلد آخر، لا يمكن أن يقوم بدوره أو أن يستمرّ إذا لم يكن لدى الناس الذين يسكنون فيه ما يكفي من الأخلاق والفضائل التي تصنع الناس. ولكي نحافظ على هذه الأخلاق فإنّنا نطالب من وقت لآخر بعودة إلى الضمير، بانتفاضة؛ ذلك أنّه لا يمكن الدفاع عن بلد، حتى ولو كان نسبياً حسن التسلّح، بنفوس سريعة العطب وبارادات خائفة.

إنّ بلداً صغيراً يمكنه أن يسير العالم وأكثر يمكنه أن ينفذه بفضل قواه الأخلاقية؛ فإذا لم يكن فيه سوى مستفيدين يسكنهم الخوف، فهو مهدّد أو ضائع.

## امتناع حقيقي عن حكم العدالة

ليست الولايات المتحدة، ولا الأمم المتحدة من نرغب في أن تنتصر في كوريا، بل هو الحق.

إن مبدأ الحق الخاص الذي يمنع من استعمال الحق بمحاكمة الذات ينبغي أن ينطبق على الأمم.

والآن، ما دام كل شيء يتطور إيجاباً في كوريا، هل هناك من سيتذكر فلسطين؟ وهل سيُقال إن امتناعاً حقيقياً عن حكم العدالة قد حصل في الأرض المقدسة وأنه مستمر، وأنه من الضروري أن يتوقف، وأن صوت الأمم ينبغي أن يرتفع أخيراً تحت أسوار القدس، كما نسمعه من جهة سيول (Séoul)؟

إن اختلالاً في الذهن لا يُصدّق أفضى إلى تصوّر للقضية الفلسطينية كما لو أنها شأن صغير في السياسة الإقليمية يمكن للعالم أن يفصل عنها. في حين أن المطروح هو الأماكن المقدسة، ما يعني، في هذه الأيام القاتمة حيث يدور النقاش حول الإله الخالق، أنه الموضوع الأكثر اهتماماً والمتصل بالرجاء والايمان.

هناك طرح متداول في الأوساط الانغلو-سكسونية، وهو طرح غير معقول مؤداه أنّ الأردن، كما هو عليه، يمكنه حماية ما تبقى من القدس ضد شهوات إسرائيل أفضل من الأمم المتحدة. هل إنّ الأمم التي تتصرف بقوة في كوريا خاضعة دائماً، وإلى هذا الحد، لعقده وقوة إسرائيل؟ ألم يتعلموا شيئاً من كون البؤس الكبير الذي تتعرض له الأماكن المقدسة هو موضوع حزنٍ للعديد من البشر؟

يمكننا بعد الآن، ومن دون الظهور وكأننا موسوسون بأمر تافهة، أن نهتمّ بمصير القدس. لكن حماس القوى الدولية، بعد فترة يقظة، عاد إلى الرقاد. على أن كسل سياستهم قد تقجر تماماً مثل خيالهم.

كيف يمكن محاربة إنكار المطلق، وبفعالية، عندما نسمح لقوى الظلام أن تستولي على أفضل ما يرمز إلى

المطلق؟

شيئاً فشيئاً لدينا الشعور أن الأماكن المقدسة هي أماكن متروكة ويُسمح باغتصابها كما لو أنها ثروة لا وريث لها. وأن المدافعين الطبيعيين عنها يخشون أن ينكروها أو أنهم ينكرونها. في هذا الوقت يستمر الزحف العدواني لإسرائيل، لأن الصهيونية لا تنتظر سوى المناسبة لتستخدم العنف ضدّ الحقّ ولتفرض قانونها على أراضٍ شاسعة، بعد احتلال القدس. تلك هي الحقيقة البديهية.

إننا نبتهج إذ نرى الحق ينتصر في كوريا، ولكن المفارقة تصبح أكثر إيلاماً بانتهيار الحق في فلسطين. في هذا الغرب الذي يقاتل، كما يقول، من أجل المثل الأعلى ألا يوجد في جهة ما منه أزمة ضمير أم انتفاضة إكراماً للأماكن المقدسة؟

17 أيلول 1950

## ما له الأهمية الكبرى

جميع النجاحات في السياسة الخارجية التي وعدنا النفس بها، ستكون شيئاً طفيفاً ما لم نسو المشاكل الناشئة عن حرب فلسطين ونشوء إسرائيل. هنا توجد المشكلة الكبرى، هنا يكون الخطر الأعظم. فليس علينا أن نؤخذ بأي وهم: فمن كل ما يحدث على وجه الأرض، فإنّ هذا الذي يحدث (والذي سيحدث) على حدودنا الجنوبية هو الذي بالنسبة لنا، له الأهمية الكبرى.

بين إسرائيل وبيننا، لا يوجد جدار طبيعي، ولا أيّ عائق. والمئة والعشرون أو المئة والثلاثون ألفاً من اللاجئين الفلسطينيين على أرضنا، يتقلون، من جهة ثانية، على اقتصادنا وعلى حياتنا الاجتماعية بالثقل الأكثر إرهاقاً. وعلى سبيل المثال، فإن الجرائم المرتكبة من لاجئين فلسطينيين، وهم في أسوأ حال، لا تُعدّ.

لقد كنّا دائماً أحد الشعوب الأكثر مضايقةً والأكثر كراماً على وجه الأرض؛ وإمّا هناك حدود للإمكانات.

علينا تجاه هؤلاء الفلسطينيين بالذات، كما على جميع البلدان المدركة لواجبها، أن نبذل الجهد الضروري لإعادتهم إلى البيت الذي اقتلعهم منه اليهود لئسكنوا فيه أشخاصاً من نسلهم. ففي حين يتألم اللاجئون العرب ويتضورون جوعاً، تستدعي الهجرة اليهودية إليها بكل وقاحة، وتحشد أناساً يحملون جواز سفر آتين من جميع زوايا المعمورة بقصد إحداث مأسٍ مستقبلية.

يمكننا أن نرسل بعثات متعددة في كل الاتجاهات وأن نرصد ميزانية بحجم كبير كي نحقق حضورنا في جميع نشاطات الحياة الدولية. كل هذا لا يجعلنا نتقدم خطوة واحدة إذا لم تحل المشاكل الفلسطينية. الآن، ليس علينا أن نفتش عن المجد وإنما عن السلامة.

تمرّ السنون كما الغيوم وكما وجه هذا العالم. وما سيبقى طويلاً هو مشروع دولة إسرائيل الجسور والمرعب والذي يجعل من زيادة السكان سياسة له بانتظار أن يستبدلها بسياسة المدى الحيوي.

إن الأميركيين الذين لا يرون ذلك لا يريدون أن يروا شيئاً. فهم ينتصرون للحق في كوريا ويسحقونه في فلسطين. وليس لعنادهم من معادل سوى سلطتهم. إن كلمة من واشنطن سوف تضع حداً لتهديدات وتجاوزات إسرائيل. غير أن واشنطن تبدو غير قادرة على لفظ هذه الكلمة. وسيبقى الأمر كذلك ما دامت ولاية نيويورك، حيث عدد اليهود أربعة ملايين، تشكل، أو هي قادرة على أن تشكل، في نهاية الأمر، ميزان السياسة الداخلية والخارجية للولايات المتحدة.

علينا إذن، نحن وجيراننا، أن ندافع عن أنفسنا، وأن نعمل على تدويل القدس، وأن يعود اللاجئون إلى موطنهم الأصلي أو أن يجدوا ملجأ خارج البلدان المكتظة سكانياً، وأخيراً أن تُحرر جميع دول الجامعة من هذا الكابوس.

للوصل إلى هذه النتيجة، لن تكون سياسة التشدد وكره الأجانب، من الجانب العربي، هي التي تفيد لأي شيء. فعندما تمتلك مصر، مثلاً، عملة مقايضة ذات قيمة، فلسوف تنتصر.

إذا شننا، كلانا، أن ننقذ ما يمكن إنقاذه حتى الآن من فلسطين، وأن ننجي أنفسنا من مصائب الغد، ينبغي أن تصبح سياستنا الخارجية أوسع أفقاً، وأكثر مفهومية، وأكثر إنسانية.

عندما تكون مثل هذه الصعوبات ملقاة على عاتقنا، علينا أن نلین موقفنا تجاه القوى التي يرتبط بها مصير الأمم والتي يمكن أن نحيا معها.

في الجامعة العربية حيث يُقال الكثير من الكلام الفارغ والعبثي، هل هناك من استوعب الأمر، وهل هناك من أخذ ذلك بعين الاعتبار؟

20 أيلول 1950

## مؤتمر طهران الاقتصادي

مع الاحترام العميق الذي يستحقونه، فإننا لن نوجه مدائحنا لأولئك الذين وضعوا مؤتمر طهران الاقتصادي تحت شعار طائفي. وستأخذنا الدهشة إذا لم يكن أولئك الأكثر تألقاً بين مواطنينا من المسلمين، ومن الآخرين أيضاً، لا يفكرون مثلنا.

لا أحد يناضل من أجل ما هو روحانيّ ومن أجل تأكيد أولويّته أكثر ممّا؛ ولا أحد مثلنا يدعو الناس إلى الصلاة بكل قناعة وضمير. وعندما يعبر الإسلام النقي عن إيمانه، فإننا سنفرح به جهاراً كفرحنا لدى كلّ تكريم صادق يُرفع للآب السماوي.

في عالم حيث الروحانيّ مُنقَصٌ من قدره إلى هذا الحدّ، فإنّ من واجب كل مؤمن أن يؤكّد إيمانه. ولكن، بحسب فهمنا، لم يكن إلهاماً سعيداً ذلك الذي وضع تحت أرمّة دينيّة الاهتمامات ذات الطابع الزمني وخاصة تلك التي تعود إلى الاقتصاد بحصر المعنى.

إنّ مؤتمراً اقتصادياً يأمل بجمع عشرة أمم، سيكون من الطبيعي والصحيح أن لا يخلط بين قانون الإيمان وامتيازات التبادلات التجارية والمقايضة والجمارك والأسواق الحرّة. كلّ شيء يجري من دون شك تحت نظر الله، وإنّما الديانة في تلك القطاعات لا دور لها.

هكذا، الآن نجد الديانة حيث لا ينبغي أن توجد؛ في حين أنّنا لا نجد بالاضبط حيث ينبغي أن تتوجد. فما نودّ أن نراه، هو مؤتمر، ليس للقوى الاقتصاديّة وإنّما للقوى الروحيّة تحت شعار الخضوع للإله الخالق والأخوة الإنسانيّة.

إنّ الاقتصاد، كي يسير بشكل سليم، لا ينبغي خلطه بأمور الإيمان. يجب أن يُعطى لقيصر ما لقيصر والله

ما لله.

14 تشرين أول 1950

## الجامعة العربيّة في نيويورك

خلال مأدبة، في نيويورك، سعى عزّام باشا إلى تثبيت إيمان العرب بجامعتهم. لقد جهد لإحياء النار المقدّسة التي يغطّيها منذ زمن رماد كثيف.

ومع التقدير للجهود المشكورة للأمين العام للجامعة العربية، نجد أنفسنا مجبرين على الاعتراف بأن حماسه لا تبرّره لا الأحداث ولا الوقائع.

فلكي تعود الجامعة شيئاً حياً، ينبغي أن يختفي العديد من الأفكار المسبقة وأن يُقضى على بعض النفوس الأنانيّة والعوانيّة لدى أكثر من واحد من أعضائها.

إنّ غنى المفردات العربيّة يسمح باستخدام علم الألفاظ المُرنّ والمثير في إطار من الغموض. لكن الحقيقة بحاجة إلى إيضاحات وإلى محدّدات وإلى أفعال.

لا يدور في خلدنا، ولا بأي شكل، أن ننتقد عزّام باشا الذي احتفظ، كما يبدو لنا، بأوهام من زمن الشباب. نحن على العكس نمتدحه لمحافظته على تلك الأوهام وإنّما فقط على الصعيد الشخصي والإنساني. فهي تعبّر بالفعل عن عنفوان طيّب في الحساسية والقلب وعن قابليّة ثابتة للتحمّس.

لكنّ السياسة بحاجة إلى مناهج أخرى وإلى اعتبارات أخرى.

إنّه لجميل أن نعطي، في نيويورك، مظهراً على وجود تفاهم، بل على تضامن أخويّ في حين أن الشبهة عامة والمكاند تتكاثر والخلاف يعمّم.

إن الحاجة العميقة إلى المنطق تلفت انتباهنا إلى حالة ذهنيّة، سطحيّة جداً وشكليّة فعلاً بما لا يجعلها ذات فائدة. على العرب أن يستخدموا لغة أكثر جديّة، وأن يكبّوا على محادثات أخرى إذا شاؤوا أن يتجنّبوا أخطر المهالك.

لقد ولّى زمن الخطب ما عدا في نيويورك ربّما. فأميركا هي بلد الخطب المملّة ويجب أن تُلقى هناك بشكل مستمرّ. ولكن في أفريقيا المصريّة، كما في آسيا الغربيّة، يوجد تاريخ آخر ينبغي أن نظهر الحقيقة، ينبغي أن نُفتح، ينبغي أن نفعل.

سنكون سعداء بأن نرى أعضاء الجامعة يبذلون جهوداً أخرى، حول طاولة خضراء، ويقدّرون فوراً ضعفهم الحاضر والمخاطر التي يتعرّضون لها. وبالشكل الذي هم فيه سائرون ليس بوسعهم أن يلوموا المجادلات البيزنطيّة الشهيرة.

على هذا المستوى، وحيث أن الفجوة هي في الحائط، فإنّهم يفعلون تماماً ما فعله البيزنطيّون.

20 تشرين أول 1950

## زمن التفكر

الحقيقة التي بموجبها تعرّف دول جامعة الدول العربية نفسها بأنها منظمة إقليمية، تفرض عليها إعادة نظر شبه كاملة بتصرفاتها ونسوية نسبية لاختلافاتها. بيد أننا لا نزال بعيدين جداً عن ذلك.

أول سبب لضعف الجامعة هو الاكتفاء بالكلام. فلطالما اعتبرت الأمنيات بمثابة حقائق، وهذه الحقائق، بعد فشل الأمنيات، بدت أكثر قسوة.

ينبغي، بداهة، أن تيدل دول الجامعة مقاومة جماعية، مقاومة ذات ثقل نوعي في وجه مخاطر عديدة. يجب أن يتم تحاشي الخطر الدائم الذي يأتي من إسرائيل ومن تسلطيتها. من الضروري إذن أن تتخذ إجراءات مناسبة لهذه الغاية.

ما هو مخيف في منظمة دول الجامعة هو هذا النقص في روح النقد والمنهجية، بما يعني الاكتفاء دائماً بما هو سطحي واعتبار السياسة الجيدة هي سياسة ربح الوقت إلى ما لا نهاية وعدم الذهاب قطعاً إلى عمق المشاكل.

إن الجامعة، كما هي عليه، هي تأجيل دائم، وانتظار دائم. فليس هناك من يودّ بذل جهد للتأكد من أن هذا منسجم مع ذلك وإذا كان ممكناً وضع الماء والنار سوياً. وهذا كمن يتقدم في الحرب على أرض مكشوفة تاركاً خلفه المواقع العدوّة.

بين العرب (وهذا ليس سرّاً) يوجد منذ البداية عالم من المطامع والخلفيات التي تتخمر. هناك المشاكل الانتئية، والمشاكل الجغرافية، والمشاكل السلالية، والمشاكل الاقتصادية ومشاكل أخرى بدون شك. وهذا المجموع يمثل كمّاً من المشاكل السياسية التي لا يمكن التسرّ عليها من دون تهوّر خطر.

كل هذا ليس طبعاً متناقضاً بالمطلق. كل هذا ليس بالضبط غير قابل للحلّ. لكن ما دامت الدول العربية تعاند بحيث تودّ تجاهل الضرورات الجديدة للسياسة الدولية، فهي تقصر عملها على لعبة أولاد، على حديث بالعربية بين أربعة جدران، في الوقت الذي تتحوّل فيه الإنسانية كلّها ووجه الكرة الأرضية بالذات.

إنّ الدول العربية لا يمكنها بعد الآن أن تتجاهل ما يحدث في الغرب. هذا ضرب من الجنون والغرب لا يمكنه أن يتجاهل ما يحدث في الشرق الأدنى من دون المجازفة بتعريض السلام للخطر.

ها هو زمن العقلانية والديالكتيك.

أليس علينا أخيراً أن نجرب إحلالهما محلّ الشعر والبلاغة؟



## حول لقاءٍ لدبلوماسيين

إنّ الممثلين الدبلوماسيين لفرنسا في الشرق الأدنى، المجتمعين في القاهرة، لديهم أكثر من موضوع للمناقشة ومن الواضح أنّه بمجرد أن استقرّ السيد كوف دي مورفيل (Couve de Murville) سفيراً في مصر حتى أصبح مثل هذا الاجتماع حاصلًا من جهة أخرى، صارت عادة لدى الحكومات بأن تجمع ممثليها في الخارج، في عاصمة أو في أخرى، لاستعراض لمشاكل الدولية والإقليمية من أجل تنسيق السياسة، إن التسهيلات القصوى للأسفار تسمح وتبرّر هذا.

ليست الموضوعات هي ما ينقص الدبلوماسيين الفرنسيين في الشرق الأدنى: الأماكن المقدّسة، إسرائيل، اللاجئين، التقاليد والعلاقات "الثقافية" (هذه الكلمة المستحدثة قد تکرّست بقوة بحيث يتم استعمالها بشكل طبيعي)؛ قناة السويس ومصر، المواقع الفرنسية في خليج عدن؛ النفط والتبادلات التجارية، الطرق الجوية والبحرية إلى مدغشقر والهند الصينية، ماذا أذكر أيضاً! كل شيء يجري استخدامه كما كل شيء في طريقه إلى الاستخدام: الروحي والزمني، تراث الماضي وإمكانات الحاضر والمستقبل.

إنّ لقاءً لدبلوماسيين فرنسيين لمراجعة الوضع من جميع جوانبه حول العديد من القضايا المهمة، يمكن، بل ينبغي أن يرتدي طابعاً مثيراً. ذلك أنه إذا كانت الوسائل جدّ محدودة، فإن التطلّعات ليست كذلك. فلقد بدا لنا دائماً وبشكل مؤكّد، أنّ قوة عظمى إذا لم تعد تهتمّ بالشرق الأدنى فهي لم تعد قوة عظمى. ولا أحد هنا يرغب في ذلك بالنسبة لفرنسا التي هي عامل نظام وتوازن أساسي، كما كانت طوال قرون.

إنّ قناة السويس، على سبيل المثال، هي إنجاز فرنسي على كل حال، ومصر تذكر ذلك. إن الدفاع عن القناة هو أمر حيوي، وحول هذه النقطة، كما حول غيرها سيكون هناك شيء يُقال، ولن يكون ذلك إلا من أجل الحدّ من الخلافات في مثل هذا الجدل السياسي الحادّ.

من دون شك، فإنّ جميع مصالح فرنسا ستؤخذ بعين الاعتبار، وكذلك مصالح الشرق الأدنى بالذات كما مصالح الغرب كلّها؛ إنّ الموقف العقلاني والكبير هو هذا بالذات.

سنكون جدّ فضوليين، من جانبنا، لمعرفة ردود فعل سفير فرنسا في إسرائيل. فإذا ما قلنا كيف نحن نتصوّرها بعد آخرين، لن نجد فيها سوى تشجيع متواضع. قد لا يكون ذلك سوى رأي مسبق، ولكن من الطبيعي أن يعمل الخيال حول نقطة تمثل هذه الحساسية. إن حلّ مشكلة الأماكن المقدّسة وحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، يبقى بالنسبة لفرنسا قضية من الدرجة الأولى. ويمكن أن نرى فيها، وعن وجه حق، مدى النهضة الفرنسية. ذلك أن فرنسا تبقى تمتلك وسائل عمل، كما تمتلك وسائل مقايضة ويعود لها وحدها أن تجيد تفعيلها.

أمنيتنا هي أن يكون اجتماع القاهرة فعّالاً ومثمرًا. وكل إشارة إيجابية تصدر عنه تملأنا بالحبور. والوضع الفردي والجماعي لدول الجامعة العربية معروفة بحيث أنه ولا واحدة منها، كما نعتقد، يمكن أن تبدو غير مبالية بذلك. ومن أجل خير الجميع فإنّ زمن صياغة سياسة بأفق متسع لم ينقض بعد.

15 تشرين الثاني 1950

## بصد رحلة

يبدو أن الرئيس السوري يحبّ الرحلات. نحن، وتحديداً اللبنانيين، لدينا أيضاً مزاج محبة السفر، ونذهب بطيبة خاطر من بلد إلى آخر. لكن تحركات رئيس مجلس سوريا فيها ما يثير الاهتمام وهو اصطحابه وزير دفاعه. ومن دون شك فإن ذلك ليس من أجل التكلّم عن الحبوب والقطن.

بإمكاننا الاعتقاد بأن السيد ناظم القدسي يجهد ل طرح مبحثين رئيسيين في عواصم بلدان الجامعة؛ يعني بدايةً أن قضايا السياسة الخارجية يجب أن تتقدّم على غيرها في سياق الاهتمامات الجماعية للعرب. ومن ثم، حيال النظر إلى جهة إسرائيل، من المناسب الاستعداد لمواجهة القوة بالقوة إذا ما اقتضى الأمر ذلك.

يبقى، وهذا صحيح، أن السيد ناظم القدسي يواجه في هذه المرحلة مشاكل سياسية جدية في سوريا ويجد من المناسب أن يبتعد طوال بضعة أيام عن بدء الدسائس التي تحيط به.

من جانبنا، فإننا نجد أن جولة رئيس المجلس السوري فيها براعة من حيث المبدأ. فتغيير الهواء ليس شيئاً سيئاً إذا ما شعرنا ببعض النقص في الهواء حولنا. علاوة على ذلك، فإن رجالاً سياسياً يفتش دائماً عما يجني نفوذاً من رحلة مغلقة بالغموض. لاسيّما وأن السيد ناظم القدسي قد قام فعلاً بدورة على محدّثيه ناصحاً بالتضامن والإرادة الحسنة والوحدة.

من جانبنا نحن، في لبنان، لدينا بعض الأسباب كي نبذو متحفّطين. فنحن منذ سنة وأكثر، هدفٌ لنسق من الهجوم الذي جرى تجميله خلال الأشهر الأخيرة باقتراءات جديدة. والطريقة التي تعتمد عليها سوريا إزاءنا قليلة اللياقة بحيث تجربنا على أن لا نسعى إلى صداقة حميمة معها. ولطالما تعودنا بالفعل على كل ذلك.

إذا ما حقّق السيد ناظم القدسي نجاحاً في بيروت، فسيكون ذلك إنجازاً مؤكداً. فإذا لم يحقق أيّاً منها، فنحن لن نحزن على ذلك. ولكن، رغم ازدهار هذا الفصل، فإنّ المشاكل الاقتصادية ليست قليلة في سوريا وها نحن نمتلك مثلاً واضحاً عنها.

تحارب الحكومة السورية الاحتكار، كما تقول الأنباء، وتسعى، إذ تفتح أبوابها قليلاً، لأن تجعله من دون تأثير. هذه علامة ثابتة بأنها غير قادرة على محاربة ارتفاع الأسعار بطريقة أخرى. ذلك أن الأمور تتبع بعضها. فغلق الأبواب يؤدي إلى ندرة السلع وارتفاع فوضوي للأسعار لكل ما لا ينتج محلياً.

من أجل محاربة كل ذلك، لا بدّ من إجراءات صارمة لا يمكن لسوريا أن تطبّقها ما لم تتخذ عقوبات مفرطة. إنّ قانون ديوفليسيانوس<sup>(1)</sup> هو أفضل نموذج عنها قديم ومشهور جداً. ولكن، لا يمكن بعد كل حساب، شنق التجار في الساحات العامة في دمشق.

في خلال زيارته لبيروت، إذا استطاع السيد ناظم القدسي أن يترك انطباعاً إيجابياً، فسنكون أول من يبتهج بذلك. إنّما الشعور لدينا أنّه ما دام السيد ناظم القدسي يتنقل برفقة وزير دفاعه، فإنّه يعمل خاصة للسياسة السورية الداخلية. إنّها إلى حدّ ما مفارقة، ولكنها كذلك.



# سياسة متوسّطة وسياسة دينية

إذا لم يكن بإمكان اليونانيين والأتراك الانضمام إلى الحلف الأطلسي (لدى الولايات المتحدة والدول الاسكندنافية تحفظات على ذلك، كما يُقال لنا)، من الضروري إيجاد شيء آخر لهم ولنا. ذلك أن اليونان وتركيا هما المعقل الثنائي للشرق الأدنى والأوسط.

إن سياسة عقلانية حول الدفاع المشترك ينبغي أن تذهب من القاهرة إلى أثينا. انطلاقاً من أثينا، كما انطلاقاً من القاهرة يمكنها أن تذهب حتى مدريد وحيث ما يُراد لها.

إنّ الدول المتوسّطة تريد السلام وليس شيئاً آخر. إن لديها ما يكفي من المشاكل كي لا تخلق لنفسها المزيد. إنّها تريد أن يبقى المتوسط كما رسمه له المصير، بحراً لطريقة في التفكير والعيش، بحراً للحضارات التي تتفاعل بعمق منذ قرون.

إن المتوسط يتأذى من الثورة ومن الصدمات الكبرى. ها قد مرّت عهود وهو يعمل على تطوير نظمه للحياة رويداً رويداً. إنّهُ لصحيح أن دفاعاً تضامنياً يغطيه من دون أن ينقل (لا يقلل المتوسط من دون أن تنقل معه النفحة الانسانية) يجعله ينجو من تهديدات الموت. إنّ المناخ المتوسّطي يود ذلك، والماضي يدعوه لذلك، وهمّ المستقبل يدفعه إليه. والآن يأتي دور دول الجامعة العربية لفهم ذلك وخاصة من تلك التي لا يُعتبر المتوسط لا غير معروف منها ولا غريباً عنها.

إنّ الدفاع عن المتوسط على صعيد الديانات يعني أن نزرع فيه الاضطراب والفوضى كما يعني خلق صراع بين الشمال والجنوب وسيكون ذلك جنوناً. إنّ الثورة لن تأمل بما هو أكثر ملاءمة لها. وعلى العكس من ذلك، الدفاع عن المتوسط على صعيد الحضارات يعني أن نكون منسجمين مع أنفسنا ويعني أن نتصرّف بمنطق وتعقل.

إنّ ربح الفتوية تهبّ من جديد على ما يبدو. إنّها تهبّ وبغرابة كليلية من الغرب إلى الشرق هذه المرة. وتنبغي مواجهتها بريح الأنسنة كتدبير خلاص وهو الذوق النابع من الجمع بين الأخوة والأنسية.

صحيح أن الإيمان هو الضامن العميق للحريات في مواجهة الماركسية الجذرية. لكن الإيمان المستخدم بشكل خاطئ أدّى إلى حروب الديانات في الماضي وفي كل مكان. وهذا هو بالضبط ما ينبغي تجنبه: أي تلك التعاسة التي تستولد أشكال الاعتقاد بالله عبر وسائل القتال.

على الصعيد السياسي، توجد أمامنا حضارات روحية وحضارات مادية. والصراع هو بينهما. ولا يجب أن يكون بين أولئك الذين يؤمنون بالله الخالق. وإنّ الخطر لحقيقي إذ نرى السياسة

تستثار تحت تأثير الإيمان.

على الحيز السياسي، لا نجمع مسيحيين فقط أو مسلمين فقط؛ إنّما نجمع بشراً وشعوباً يقبلون بسلطة العناية الإلهية.

ربّما علينا واجب التوكيد، هذا الصباح، كي يتمّ التفكير بهذا في واشنطن ولندن، أكثر منه في أثينا وروما وباريس.

ولا مرة كنا على مثل هذه العتبة من التهور الكبير.

14 آذار 1951

## سياسة متوسّطة

أعلن السيد روبير شومان<sup>(1)</sup> (Robert Schuman) في واشنطن أن أمن المتوسط ينبغي أن ينظر إليه في إطار الأمن الأوروبي. فلئن قال الوزير الفرنسي ذلك إلى الصحفيين، فالأولى أن يقوله إلى السيد دين أشيسون<sup>(2)</sup> (Dean Acheson)؛ ورئيس الجمهورية الفرنسية كان سيقوله من دون شك إلى رئيس الولايات المتحدة.

في العام 1944، أو 45، وفي كتاب شهير بعنوان "سياسة بريطانيا الخارجية" «British Foreign Policy»، كتب السيد إدوارد غريغ (Edward Grigg) (الذي أصبح في ما بعد لوردًا): "من دون السلام والأمن في أوروبا، لن يكون في أي مكان أمن وسلام. إن أوروبا كانت وستبقى أم المشاكل للعصر...".

بعد فترة من النسيان، يُعاد اكتشاف هذه الحقيقة فبفضل سكانها تبقى أوروبا مركز العالم. فالناس، لحسن الحظ، يعدّون أكثر من الآلات حتى الآن: سنرى ذلك بشكل أفضل عاجلاً أم آجلاً. لكن أوروبا هي الأطلسي بالتأكيد، وإنما هي حتماً المتوسط. فأوروبا وأفريقيا تتقاسمان هذا البحر الداخلي بحصّتين متساويتين على شواطئ تقريباً متعادلة في الاتساع؛ في حين أن الشرق الأدنى (لبنان في الوسط) هو محاط بالقاع الشرقي لهذا البحر.

كيف يمكن تصوّر دفاع عن المتوسط من دون الأوروبيين؟ كيف نتخيّل أنّه، من إسبانيا إلى تركيا وإلى مصر، لا يمكن للمشاطنين أن ينضمّوا إلى منظمة متوسّطة للأمن؟

إنّنا نناضل منذ زمن بعيد كي تكون معالجة مشكلة هذا الأمن بجمع الجهتين كليهما من مشاطني المتوسط. فهذا هو حقنا وهذا هو واجبنا. ولا أيّ شيء أوضح من ذلك ولا أكثر رسوخاً في السياسة.

انطلاقاً من المساواة في كل شيء، فإنّ لبنان لديه الواجهة المتوسطية الأكثر اتساعاً. ولا جهة لديها مثل هذا المقدار لأرض جدّ ضيقة. إن هواء رئاتنا يأتي من هناك. إنّه المناخ المتوسطي الذي يضمّنا، سوريا ونحن، إلى المنطقة المعتدلة بما يسمح لنا مثلاً بزراعة الزيتون.

إنّنا ننتظر نظاماً متوسطياً للدفاع يقرب ما بين المتوسطيين من أجل راحتهم وازدهارهم. لاسيّما وأن دعاء حلف الأطلسي لا يريدون فيه لا تركيا ولا اليونان. من دون شك، لديهم أسبابهم. لكن، ومن دون شك أيضاً، لدينا نحن أسبابنا.

لن يجد العرب حظوظهم وقوتهم إلاّ عندما يعودون إلى مفهوم المتوسط الذي لا يتجزأ. وذلك أنه، بديل أن يعنوا بالشعر، يعنون بالجغرافيا والتاريخ، وعندما يتذكرون أنّه من الأكثر راحة الإبحار نحو منبع نهر غوادلكيفير<sup>(3)</sup> (Guadalquivir) منه في الغانج<sup>(4)</sup> (Gange) أو اليانغ - تسي<sup>(5)</sup> (Yang-Tsé).

إنّ المقاومة الأوربية لكل حل هجين للقضايا المتوسطية تثبت نهضة أوروبا. فالمتوسط بموقعه ومناخه هو وحيد في العالم. إن التقليل من أهميته فيه تحدّ لحضارات أساسية. فليست الصحراء (Sahara) ولا ليبيا هما اللتان صنعنا مجده؛ وإنما هذه السلسلة من الشعوب والأفكار التي ينتسب إليها جميع المتحضّرين.

ينبغي إيجاد تقارب بين المتوسطيين وتوحيدهم. بمثل هذا الرباط المعلن، فإنّ الأطلسي بديل أن ينكرهم فإنّه سيجد فيهم أباه وأمه؛ وهكذا تشعّ روح الأخوة على العالم بشكل أفضل، مصحوبةً بعظمة القوى الروحية.

## حجج وإيضاحات

إنّ دفاعاً "جماعياً" عن المتوسط لن يشارك فيه متوسطيو الشمال، لن يكون معقولاً.

وربّما يتساءل أحد كيف يمكن أن نحلم بقصر هذه الخطة على دول المتوسط الشرقي، في إفريقيا، وفي آسيا. ولماذا لا نرى فيه إلا تركيا والأعضاء في الجامعة العربية (مع المشاريع السريّة والشريعة للتصفية المسبقة بهذه الوسيلة لخلافات العرب مع إسرائيل)؟

إنّ متوسطيي الشمال عليهم التزامات متوسطة أكثر من تلك التي علينا وعدادهم ووسائلهم تتخطانا بكثير. فلماذا سيظلّون غرباء عن الدفاع عن المتوسط في نقاطه الأكثر عطويّة؟

عندما تكون الأمم المتحدة ممثلة بعدد كبير من البلدان في كوريا، كيف يمكن لمتوسطيي الشمال أن يعفوا أنفسهم من دفاع مشترك عن المتوسط؟

كلّما تعمّقنا في المشكلة، كلّما استنتجنا بشكل أفضل أنّها عولجت من جهتها الضيقة جداً؛ إن الطريقة القاصرة التي فهمت من خلالها هي أمر مناف للعقل وليس روح النباهة ما يؤكد ذلك، وإنّما أيضاً روح العقلية الرياضية التي تقول ذلك.

في الظروف التي نحن فيها، فإنّ الدفاع عن المتوسط من دون المشاركة الجماعية لمتوسطيي الشمال، هو أمر لا يمكن تصوّره. من اسبانيا إلى اليونان توجد حكومات ينبغي أن يكون المتوسط بالنسبة لها، وبشكل طبيعي، الموضوع الأول والهمّ الأول.

كم من القوى الأوروبية المتوسطية كما الأنجلو-أميركية تساعد تركيا عند الاقتضاء، وأي سبباً لغيرها؟  
وفرنسا، من جهة أخرى، هما مرتبطتان كلاهما بمعاهدة مع تركيا، واسبانيا بصدد أن تقبل (وهي خطوة جزيلة!) بالمشاركة في الدفاع الجماعي عن هذه القارة الأوروبية والتي هي موجودة في أقصى طرفها الغربي.

إنّ أهمية هذه الأسئلة أمر ظاهر للعيان. وغير مسموح بعد الآن أن نكون غير مباليين في إزائها. وهذا لا يعني ما يتعلّق بلبنان فقط بل بكل الشرق الأدنى وإفريقيا وآسيا.

ما نكتبه هو صحيح بشكل خاص بالنسبة لسوريا ولمصر. نحن ندرك جيّداً أن الانجلو-أميركيين يتحمّسون للدفاع عن المتوسط الشرقي؛ ونحن ندرك أقل كيف أن الاسبان والفرنسيين والإيطاليين واليونانيين يعاملون كأجانب في هذا البحر الذي هو إلى حدّ كبير بحرهم كما هو بحرنا.

ولماذا تتمّ معاملة العرب كما لو كانوا صينيّين من جماعة تشانغ كاي تشيك؟ كما لو أن المتوسط لم يكن بحرهم بالولادة؟ لماذا لا يكون الاسباني، والفرنسي، والإيطالي واليوناني مهتمّين، مثل الآخرين، بمستقبل المتوسط؟

جملة أسئلة، هي في الحقيقة جملة تناقضات؛ ولكن عندما تمضي السياسة والدبلوماسية على مسار معيّن، فهي لا تودّ أن تخرج منه لمدى قرن من الزمن؛ في حين أن المشاكل المتوسطية القديمة تطرح على العالم القديم بجدّة ساطعة.

إنّ الدفاع الجماعي عن المتوسط بواسطة جميع المتوسطيين، هو اللازم التي يتوجب إن ترجعها جميع الدول المتوسطية في الجامعة العربية. فإذا كان عزّام باشا من هذا الرأي، كما نرجو، فسيكون هناك مجال لعمل مثمر؛ فإذا لم يكن هذا رأيه، فمن الأفضل أن لا يذهب إلى انقره. إنّ القاهرة ودمشق لا يمكنهما أن تنصّرنا بما يخالفنا.

أخيراً، فإنّ شطر المتوسطيين إلى اثنتين كما يفعل الانجلو-أميركيون، من دون نية سيئة، سينتهي بإفساد العلاقة بين الجهتين كليهما.

والحال أنّ انكلترا، وبمئة شكّل، هي قدرة متوسطة. كل تشويش متوسطي لا يمكن إلا أن يطالها هي أيضاً ويعقد مهمتها على اعتبار أن المتوسط هو الحاضرة الأولى للأمبراطورية البريطانية فهل سيودّ أصدقاؤنا الإنكليز أن

يتنكروا ذلك؟

6 نيسان 1951



## سياسة مركزها المتوسط

عندما يتعلّق الأمر بالتحالفات، فإن الطريقة الشائعة لقياس المتوسط بالذراع فيه شيء من الإثارة.

ففي حين يبدو العالم صغيراً، وبحرنا يتحوّل إلى بحيرة، ها هم يحولون البحيرة إلى شرائح. وما هو أكثر غرابة، أن يُمنع أكثر المهيبين بين المشاطنين من الدفاع عن البحيرة. إن جماعة الأطلسي يجدون من الطبيعي أن يقصوا جماعة المتوسط عن طريقهم، والذين نتكلم عنهم هم سادة الأطلسي.

حقيقة، إنّ الأميركيين والإنكليز هم الأكثر قدرة ونحن لا نتشكّى من ذلك. إن قدرتهم هي الحماية لنا. ولكنك لا تعلم: إنهم الكا متوسطيّين الشماليين في أميركا، محور الوسط في أوروبا، والذين لا يهتمون بالبحر. إنهم يهتمون بالبحر، ولكنهم يهتمون بالبحر، ولكنهم يهتمون بالبحر، ولكنهم يهتمون بالبحر... حقيقة ما قبل الأطلسي ولدى الممالك الجزيرية، وخطأ لما بعده...

نحن هنا متوسطيون ونهوى المنطق. عرب أو غير عرب، فإننا لا نودّ الدفاع عن المتوسط وحدنا بين المتوسطيين. فليحمل آخرون الحمل معنا ويأخذوا نصيبهم من هذه النّزهة! فلتجلس اسبانيا وفرنسا وإيطاليا واليونان وتركيا حول الطاولة مع العرب (وبالتأكيد مع الإنكليز والأميركيين) وليتقاسموا المهمة! أكثر من حلف الأطلسي فإن متوسطية حميمة تبدو ملائمة لهذه المرحلة.

إنّ الاتحاد الأوروبي للفحم والفلوآز نشأ حديثاً. بالأمس بالذات تمّ توقيع العقد الذي منحه الوجود. عن هذا الاتحاد قال رئيس الولايات المتحدة بأنه "الحدث الأكثر تشجيعاً الذي حصل في أوروبا منذ نهاية الحرب". لكن هذا التشجيع سيكون مبرراً بشكل آخر إذا ما تفضلنا بالارتقاء من مستوى الفحم والفلوآز إلى مستوى الحضارات.

إنّ مشروع السيد روبير شومان، الذي يتحقق في نهاية المطاف، هو جدير برجل أوربي كبير. وهو ليس سوى مرحلة. والنظرة الضيقة التي تكوّننها أميركا عن مستقبل المتوسط ليست لائقة بالقدرة الأميركية. فحتى البراغماتية الأميركية تنتفض ضدها. إذ، ما هي أوروبا من دون المتوسط، ومن هم كل العرب مجتمعين من دون المتوسط؟ هناك حقائق تفقأ العيون في حين أن السياسة الرسمية لا تريد أن ترى شيئاً.

هل افريقيا الشمالية والشرق الأدنى هما في نظر الأميركيين والإنكليز أكثر من طريق استراتيجي واقتصادي وأكثر من حوض نفطي خاص بهم؟ نودّ بكل صدق، حفاظاً على شرف الإنكلو-ساكسون أن يساويا بالنسبة لهم، أكثر من ذلك. فما هو رأي كامبردج وأوكسفورد، وكولومبيا وهارفرد؟

إنّ الجزء الأكثر قدماً، والأكثر احتراماً لدى البشرية، هو المرتبط بالمغامرة الجماعية لمتوسط يؤنسن الأفكار التي يتعهدها. فأي معنى لأي عمل سياسي إذا لم نقبل الحقيقة المتوسطية؟ وإلى أية توترات سياسية، وأية آلام سنعرّض أفريقيا الشمالية وآسيا الجنوبية إذا ما تشبّثنا برأينا ومضيّنا في مسار غير إنساني؟

ما نقوله هنا باسم سياسة عقلانية كان على الأونيسكو أن تصرخ به بأعلى صوتها أمام الأمم المتحدة. وإلا، ما هي الأونيسكو؟ وما هي الجدوى من هذه المنظمات الدولية الكبرى في هذا العصر إذا استمرت في تجاهل نقاش بمثل هذه الأهمية؟

إنّ ما يُسمّى اليوم الدفاع الجماعي عن المتوسط ليس سوى المظهر العارض لمشكلة دائمة بل أبدية.

إن متوسطيّ الشمال سيشاركون في الدفاع عن المتوسط، وإلا فلا حاجة إلى التحمّس لبناء أوروبا. وأيضاً، لا حاجة أبداً للإدعاء بإعطاء العرب الهناءة والسلام.

هناك تضامانات تفرضها طبيعة الأشياء وهذه لوحدها تضيء أكثر من كل منارات الأطلسي.

وهناك واجب جماعي لا بدّ من تقاسمه ليس فقط بين القاهرة وأثينا، وإنما أيضاً بين اسطنبول ومدريد.



## سياسة خارجية وجامعة عربية

ينبغي أن نتوجه اليوم إلى الدول المتوسطية في الجامعة العربية كما لو كنا نتوجه إلى أنفسنا بالذات. ولكن، وصولاً إلى أقصى اليمن، وبشكل غير مباشر، ولا أي بلد من الجامعة (ولا من دول الجوار) يمكنه أن يبدو غير متأثر بمقالنا.

لئن كان المطروح هو الدفاع عن المتوسط وعن الشرق الأدنى معه، أي نهائياً، عن الأوطان ومسقط الرأس، فسيكون من غير المعقول، أن تعرض بلدان الجامعة نفسها، ولوحدتها، لمخاطر المغامرة من دون متوسطي الشمال. ومن غير المعقول أن يتحملوا وحدهم العبء بين متوسطي المتوسط.

ولئن كان المطروح هو الدفاع العربي ضد مطامع إسرائيل وتعدّياتها واغتصابتها، فلا بدّ آنذاك من مساعدة متوسطي الشمال أيضاً. إذ المسلم به، كما يبدو، أنه ليس علينا أن نأمل أيّ دعم من الولايات المتحدة ضد إسرائيل ما عدا أمور مادية. وسيكون من المستحيل أن ننتظر من المملكة المتحدة موقفاً واضحاً وحازماً. فهناك العديد من أتباع الدين اليهودي (ولا نقول من الإسرائيليين) في برلمان لندن وفي المدينة وبالتالي لا أمل بقيام انتفاضة.

إن احتمال حدوث نزاع دولي واحتمال تصعيد المقاومة ضد إسرائيل يفرضان مجهوداً جماعياً في المتوسط. ولمن يودّ أن يرى، فهذا يفتق العيون. إنّ سيكولوجية العالم المتوسطي قليلاً ما تثير مشاعر الأميركي والإنكليزي لأسباب متصلة بالمسافة والتقليد، بمعنى آخر، بالجغرافيا والتاريخ. في حين أن متوسطي الشمال شديد الحساسية لذلك مثل حساسية الجنوبي لسبب واضح وهو أنّهما يتنشقان ذات الأوكسجين وينشرحان أمام ذات المناظر منذ مئة أو مئتي جيل.

على الصعيد الروحي والإنساني، ليس من أميركا، ولا من الشرق الأقصى أو الأوسط، يمكن أن يأتي الخلاص.

وإذا لم تفرّ دول الجامعة الخروج من عزلة الدول العربية بإرغام أوروبا المتوسطية على المشاركة في النقاش، فيمكن أن يتخذ ذلك بسرعة طابعاً مأساوياً.

أمنيتنا هي أنه قبل اجتماعات هيئة الأركان، يدعى العسكريون للتعبير عن رأيهم حول الموضوع وأن يدافعوا عن هذا الرأي. وسيكون بإمكانهم، هم، القول ما الذي ستكون الجيوش العربية معرضة له إذا لم يُشارك جميع المتوسطيين، كل بحسب إمكانياته، في دفاع هو بذات الوقت متحرك وغير مجزأ.

## سبيل الخلاص

السيد رئيس مجلس الوزراء في سوريا تحقق مرّة أخرى من على منبر البرلمان السوري بخصوص اعتداءات إسرائيل، كم أنّ الحق هو عاجز من دون القوة. فلقد قال: إنّ الحق إذا لم يستند إلى القوة فهو كلمة فارغة من المعنى. ورئيس المجلس في سوريا يلتقي في ذلك مع الحقيقة وباسكال، ذلك أنّه إذا لم نحصل على قوّة تكون عادلة، فبالحري وجوب أن تكون العدالة قويّة. إنّ العدالة المجرّدة من السلاح هي مجرد امرأة ضعيفة. إنّ القرون الوسطى المتهمة زوراً بأنّها مظلمة كانت تكرّم الحق بشكل أفضل من القرن الذي نحن فيه.

لكن، إذا كان الحق لا يمكن أن يدافع عن نفسه لوحده، وإذا كانت القوة هي متممه الذي لا غنى عنه لكي لا يغطي الظلم العالم، لذا ينبغي التفتيش عن القوة حيثما وجدت كي يحيا العدل في ظلّها؛ إذن، علينا أن نتقاسم المهمة التي لا نستطيع القيام بها وحدنا، مع آخرين، وبالتالي أن يكون لنا حلفاء.

ذلك أنّه، لكي نتجهز بالأعتدة الحربيّة، السوريون ونحن، بوسائل دفاع حديث، فإنّ كل ميزانيتنا لا تكفي لذلك؛ ولا حتى ميزانية مصر، حتى وإن كانت هي الأكثر سكاناً والأكثر غنى بين دول الجامعة. فهناك نفقات تتخطى كل الإمكانيات. وهناك إرهاب لا يمكن لأيّ بلد عربي أن يتحمّله من دون عقاب، في حين أن إسرائيل تجد في الولايات المتحدة وخارجها، وسائل هائلة، وسائل لا حدود لها.

ما الذي تعنيه في ظروف كهذه سياسة العزلة لبعض دول الجامعة؟ ما هي هذه الموافقة على عقد ناقص للتسلّح من دون دعم متوسطيّ الشمال، إذ إنّ العرب وحدهم لا يقدرّون على تغطية المتوسط، ولا حتى حدودهم مع إسرائيل فقط؟

إنّ الدعوة إلى التسلّح، المتجدّدة بدون انقطاع، لا تتوافق مع السياسة التي يرغموها علينا. فمن جانب، وبمواجهة إسرائيل، لا يقدمون لنا لا ضمانات ولا دعماً، من الجانب الآخر، يودّون أن نبذل قسارى ما لدينا للتحضير، وحدنا، لدفاع غير مجدٍ.

إنّ البيان الثلاثي الذي نفيده منه، والذي أشارت إليه مصر، منذ فترة، هذا البيان الثلاثي هو إعلان من جانب واحد ويمكن أن يتمّ إبطاله، فهو ليس تعاقدياً. بل يشبه عملاً مجانياً لا يلزم إلا في النطاق الذي لا تقتضي الضرورة فيه استخدام العنف.

إنّ رئيس المجلس في سوريا، هو من دون شك، من أولئك الذين يرون بعين الرجولة هذا التناقض الذي نبحر فيه؛ ومثله قادة الجيش السوري. ألم يحن الوقت إذن للخروج من هذا النقاش العقيم حيث نحيا في الضلال، كي نثبت رجلاً داخل الحقيقة الحيّة؟

ضدّ إسرائيل التي تقوم مؤسساتها الوقحة ووسائل إعلامها بنهش الأراضي السوريّة كلّ يوم، ضدّ هذه "الإسرائيل" التي تضاعف بشكل جنوني سكانها وثوراتها، هل تحمل لنا الولايات المتحدة الحد الأدنى من التشجيع أم من التهذبة؟ إنّ هذا، وعلى العكس من ذلك، وبسبب تحيّر شهير، هو مصدر قلق دائم. فهل سيتوقفون، ومتى، عن الانصياع لهوس إسرائيل؟ وعن تشجيع ولو ضمنّي للتعدّيات المريعة؟

من أية جهة نظرنا إلى الأمور ليس هناك سوى سياسة التضامن المتوسطيّة التي تظللنا وتورط الغرب. لأنّه، إذا كانت الصهيونيّة تشبه الشوم الزاحف، فلا ننسى أنه يوجد صراع آخر أكثر أهميّة يهدّد العالم.

فهل سنجد أخيراً صدى لمبادرة منطقيّة من جانب القاهرة ودمشق؟

## مفكرة

في أحسن الافتراضات، فإنّ مقرّرات اللجنة السياسيّة للجامعة العربيّة أوصت بتقوية التضامن بين دول الجامعة من أجل الدفاع المشترك وزيادة التسلّح لكل دولة. ومع القبول بأن يكون ذلك كذلك، ينبغي القول فوراً إنّ هذا ليس كافياً.

ولن يكون شدّ أواصر التضامن ولا تضخيم الموازنات العسكريّة لدول الجامعة كافيين لتبديد همومنا الخطيرة. فهذه الدول ستظلّ في خطر مباشر في ذات الوقت الذي ستكون فيه معرّضةً لأزمات ماليّة متزايدة.

والشقاق (الوراثي ظاهرياً) الذي يعود للظهور في قلب الجامعة، سيكون أكثر تهديداً أيضاً. ذلك أنه خلف استقلال العرب هناك تبعيّات لا ينكرها أحد؛ كما يوجد أيضاً الترابط بين الأمم.

فهل سنبقى على إنكار الحقيقة أم سنسبر الخطوات الأولى على طريق الخلاص؟ إن طريق دمشق تحمل إلى الذهن الإنساني أنواراً حيّة منذ زمن بولس الطرسوسي، فهل سنرى النور هذه المرّة؟

وحدها سياسة موسّعة يمكن أن تغطّي الوضعيّة أي سياسة تحالفات؛ وهذه السياسة كي تكون عاقلة تفرض تواجد كلّ المتوسّطين. وكل صيغة أخرى ستكون هجينة أو فاشلة. إن منطقة من الأرض، حيثما كانت، ينبغي الدفاع عنها أولاً بواسطة أولئك الذين يسكنون فيها. ولا يمكن انتظار الكارثة لكي تُستعاد بعد أن تكون فُقدت. أكثر من الاحتلال، فإنّ استعادتها من يد المحتلّ تودّي إلى دمار وأنقاض.

إذا كانت السياسة الخارجيّة لدول الجامعة العربيّة صعبة إلى هذا الحدّ، وإذا بدت غير متجانسة وهجينة، فما ذلك إلا لأنّها لا تصاغ وفق ما يتطلّبه العقل السليم. فبعد أن تحدّثوا في دمشق، على حكومات الجامعة أن تفتش في بعض مدن أو جزر متوسطيّة، عن شركاء آخرين. وهكذا نوّد أن نراهم في مالطا، في مايوركا (Majorque)، في سيسيليا، أو في كريت متشاركين في ترتيب الدفاع عن المتوسط حيث يمثّلون هم فيه الجزء الأكثر عطويّة.

هذا ما يقوله العقل. لا يمكن أن نتجاهل أوروبا عندما نكون جغرافياً موضوعين إزاء الخطر الأقصى، بحيث يتوجب علينا مواجهة الخطر الماركسي والخطر الصهيوني سوية.

18 أيار 1951

## دفاعاً عن الإنسان

يدافع الإنسان عن حضارته كما يدافع عن بيته ووطنه. ويكون الدفاع عن الحضارة قبل الدفاع عن السياسة.

الحضارة هي طريقة في العيش المشترك، مكرّسة ومنتشرة بفعل الزمن؛ إنها الثروات الروحية والمادية المتراكمة بفعل هذه الحياة في المجتمع التي تربط بين الأجيال. الحضارة يمكن أن تشمل قارة، بحراً، وهي ليست فعل أمة أو منطقة فقط. فكما توجد حضارة للصين توجد حضارة لأوروبا. وإذا لم توجد أبداً حضارة لإفريقيا، فقد وُجدت الحضارة الرائعة لوادي النيل.

توجد حضارات متقاربة، وحضارات متصادقة، كما توجد حضارات مناهضة لبعضها بل ومتعادلة. لكن هذه العدائية لا تصبح عنيفة ووحشية كما هي، إذا ما أصبح المتحضرون أكثر إنسانية.

الأمبراطورية الرومانية التي كانت تفهم العالم بشكل أفضل من أمبراطوريات الهنود، الأمبراطورية الرومانية، التي دلت على أنها صفتها من قبل الرومان، لم تكن حبة من الحنظل في تلك الدلماتيا (Dalmatie) في

إفريقيا، في آسيا. ومع ذلك، لم يكن ذلك يقلل من كونها الأمبراطورية الرومانية.

إنّ الخطأ الفادح لسادة هذا العصر هو في استبدال الحضارة بالسياسة؛ أي التلاعب بشكل مأساوي بالوسط البشري لإخضاعه ليس أبداً لتراث، ولا لماضٍ مجيد، وإنما لمخطط. وفي هذا فإنّ سادة عصرنا لا عذر لهم.

إنّ طريقاً استراتيجيّة جيّدة هي التي تحتاز إفريقيا أفقياً. ولكي تُنظّم عملية قطع الأشجار، كما يُرى، فإنّ هذه الطريق ستغيّر وجه إفريقيا وتستبدل ما هو أبدي بما هو عَرَضِي. وخط أنابيب (للفنط) يكأف مصاريف أقلّ في نقطة ما عنه في نقطة أخرى في آسيا. ولكي ننقذه نقلب أوضاع آسيا. وتوجد عن كل ذلك أمثلة شهيرة.

تُساء معاملة البشر لإراحة السياسيين والاستراتيجيين. ولكن، هل يمكن أن توجد استراتيجية عاقلة تتجاهل إلى هذا الحدّ الوسط البشري؟ أو هل علينا تمجيد وتأييد أكثر الاختراعات فظاعة في هذا العصر أي هذه القطيعة، هذا التمزيق للصدقات، هذا الاقتلاع الجماعي للشعوب والذي ينزّع ملايين البشر عن ماضيهم، وعن عواطفهم وعن بيئاتهم وعن مقابر موتاهم؟

إنّ الحضارة الحقيقية تحترم الحضارات الأخرى في الحرب كما في السلم. إنها تتذكر بشكل أفضل كرامة الإنسان وأهمية العواطف البشريّة. إنها لا تضع بعض البشر ضد البعض الآخر من الذين يعيشون حول البحيرة الواحدة، لتسريع بناء المستوعبات وأماكن الهبوط، وللتسهيل المفترض لسير المركبات ورسو المراكب.

فالذي يودون إنقاذنا، بالاستمرار في ممارسة العنف ضدّ طبيعة الأشياء وضدّ العواطف، سوية، فإنهم يجبروننا على الإجابة بكل براءة: تريدون إنقاذنا، هذا حسن، ولكن من ماذا؟

## حول مقال للـ "أوبزرفر" (Observer)

الـ "أوبزرفر" اللندنية استنتجت، منذ أيام، "كم ان بريطانيا العظمى، وبلداناً أخرى غربية، هي عاجزة في مواجهة القوميات الجديدة". هذه الملاحظة، مع كونها مقنعة، تبدو إلى حد ما ساذجة لو لم تكن "الأوبزرفر" هي التي أوردتها. إن صحيفة بهذا المستوى، ينبغي أن تُقرأ دائماً باحترام، ولكنّه صحيح وضروري أن نردّ على "الأوبزرفر" أن بريطانيا العظمى تحصد ما زرعت. إن مدرسة لورانس (Lawrence) وبعض الآخرين لم تتوقف عن تدبير الكارثة.

لا يُفهم كيف أنّ أشخاصاً من خريجي الجامعات البريطانية الكبرى وبالتالي ينتمون إلى التقليد الأكثر كلاسيكية، يعمدون إلى الانخراط الذي لا رجوع عنه في هذه الرومنسية المريضة. لقد خدعهم السراب ولم يعودوا يرون شيئاً من الشرق سوى تبرقع ألوان قذرة على إغواء في الضوء. لكأنما الشمس والقمر اجتمعا فيه سوية.

عندما لا نقارب موضوع الشرق بشكل جدّي، فإنّه يكون على استعداد دائم لوضع حدّ للدعابة. ما يُطلب من الغرب في إزاء الشرق (مع مثابرة مشكورة ولو غير مفيدة) إنّما هو أن يبدو أكثر تفهماً وإنسانيّة، وأن يتوقّف عن إطلاق قوى، سوف ترتدّ ضده، عاجلاً أم آجلاً.

ولكن، هل لا يزال الوقت متاحاً لطلب مثل هذا الأمر؟ أليس الوقت متأخراً جدّاً للسعي إلى إدخال قليل من النظام إلى فوضى الذهن هذه التي لا تصدّق؟

بعد مرور قرنين أو ثلاثة على هذه الصداقة الحميمة الإرادية في العلاقات بين الغرب والشرق، علاوة على ذلك، فإن المفهوم الرومنسي لأوروبا العجوز ازداد خطورة بسبب المفهوم النفعي لأميركا الشابة.

والحالة هذه، لا تمكن مقارنة موضوع الشرق عقلياً وانعكاساته غير المحدودة إلا بفضل عدد قليل من الأغذية ذات الطبيعة الأرضية، ويتأمل دائم حول المستقبل الأخرى، بما يعني الربط السعيد بين المتناهي واللامتناهي.

ليس هناك من داع لأن نلبس زيّ البدوي، كما كان يفعل لورانس، لإعلان ذلك. ولا ينبغي أن نخلط بين الشرق والكرنفال إذا كنّا نفتش عن سعادة كل الناس.

الـ "أوبزرفر" وهي تحلّل الوضعية الحالية بهذا الدم البارد الرائع الذي عرف به الإنكليز ولا يزالون يقدمون الأدلة عليه، ختمت مقالها بالجملة الفاطمة، وهذا نصّها: "وحده تجمع قوّال البلدان الواقعة بين تركيا وفرنسا، وإيطاليا، وفرنسا، وإسبانيا، ومن دون شك (The Western Powers) يمكنه أن يشكلّ دفاعاً ملائماً عن الشرق الأوسط

في الأوضاع التي نواجهها".

وفوق ذلك، هذه هي الجملة بالإنكليزية:

« Only an active partnership of those countries lying between Turkey and India, in association with the Western Powers, can produce an adequate defence of the Middle East in the circumstances that confront us. »

نحن سنطرح سؤالين: بدايةً أين يبدأ الشرق الأوسط (Middle East) وأين ينتهي الشرق الأدنى (Near East) بالنسبة للـ "أوبزرفر"؛ ثم من هي القوى التي تشير إليها "الأوبزرفر" بتعبير "قوى غربية" (Western Powers).

بالنسبة إلينا، فإن معظم قوى المتوسط هي بالتأكيد قوى غربية: إيطاليا، فرنسا، إسبانيا، ومن دون شك اليونان نفسها لأنها أمّ الغرب. وبالنسبة إلينا، إذا كان الشرق الأوسط (Middle East) يضمّ تركيا والبلدان المتوسطية الأعضاء في الجامعة العربية، فإنّ جميع القوى المتوسطية، بدون استثناء، ستكون معنية بذلك.

من هنا هذا الدفاع الجماعي عن المتوسط (الذي يشمل إلى جانب الأميركيين والإنكليز جميع المتوسطيين) الذي ندافع عنه منذ زمن مديد.

هل تفهم الـ"أوبزرفر" الأمور هكذا أم بشكل آخر؟ ألا ينبغي أخيراً الخروج من الغموض وإعطاء تعريف دقيق لـ"القوى الغربية" (Western Powers) وللشرق الأوسط (Middle East) ولشرقنا الأدنى (Near East)؟  
لقد استمرّ هذا الالتباس بما فيه الكفاية على ما يبدو لنا.

29 حزيران 1951



## الجامعة حيث لا إجماع

لم يُلاحظ، بما فيه الكفاية، أنه في حلف الأمن الجماعي للجامعة العربية، لا يوجد، فعلاً، سوى ثلاثة بلدان متوسطة في الجامعة: مصر، سوريا، لبنان، تُضاف إليها العربية السعودية لأسباب لا مبرر لها إلا لتحقيق توازن ما. إن في هذا إشهاراً لموقف طالما دافعنا عنه منذ زمن والذي يُظهر أن المصالح تختلف داخل الجامعة في ضوء أن تكون لنا وضعيّة متوسطة أم لا.

لا يمكن العمل في السياسة، ولا يُضمن الأمن بتجاهل متعمد للجغرافيا والتاريخ. فحديثاً، بدا لعزّام باشا، أن إجراء تحالف بين العرب واندونيسيا هو أسهل منه مع اسبانيا. في موقف كهذا يوجد جهل للوقائع الصارخة.

المناخ المشترك، النموذج البشري المتشابه تقريباً، ردود فعل الجسد والذكاء، لا يمكن إلغاؤها بكلمة. وكلّ العالم يعلم الآن، لأنه تأكد من ذلك عشرين مرة، أنه ليس المعتقد هو الذي يصنع الأحلاف والأمم.

لويس الرابع عشر، بعد فرنسوا الأول، كان الحليف للتركي الكبير؛ وهذا التركي اليوم، بفعل كونه أوروبياً، هو عضو مناضل في جمعية استراسبورغ. هناك شيء آخر غير موجة الإيديولوجيا لتحقيق السعادة للشعوب.

إنّ العناد الذي يدفع عزّام باشا، مثلاً، إلى عدم التعرّف من كل الأوقيانوسات ومن كل البحار، إلا على الأوقيانوس الهندي والبحر الأحمر لهو أمر محير. فما الذي سيفعله بالواجهة العربية للبحر الداخلي التي تطول نحو الغرب على امتداد ثلاثة آلاف كيلومتر على الأقل؟ هذا البحر الداخلي بكلّيته، هذا المتوسط المشترك وغير القابل للتجزئة هل نسيه منذ راح يفتش عن مفاتيح الأحلام؟

ولا أية قضية أكثر خطورة من الأمن يمكن أن تطرح على الجامعة العربية وحول هذه المادة الحيويّة، وهي مقسومة إلى شطرين. في هذه الأوضاع، ما الفائدة من الجامعة كما هي مؤلّفة، وماذا يعني الأمن؟

إنّ الجامعة العربية تتحوّل رويداً رويداً إلى إشكاليّة. فهي تحمل أكثر فأكثر التناقض في حناياها. فإذا كان بين الذين يتكلمون العربية، هناك من يفضل أن يتحدّث بالصينيّة بديل اللغات الأوربيّة، فليقل ذلك. إذا كان الأمن الجماعي بالنسبة لآخرين، لا هدف له سوى تحقيق مطامع سلالية أو إقليميّة، فليعلنوا ذلك.

منذ الزمن الذي اجتهدنا فيه لتوضيح الموضوع، عمل كل واحد على التكفير فيه. إنّ ميثاق الأمن الجماعي للجامعة العربية كما جرت صياغته هو سراب. فمن دون العراق والأردن، فهو لا يعني شيئاً، ومع الأردن والعراق فهو سيعني انخراط الجامعة كلّها في الالتزامات التي اتّخذها هذان البلدان.

إنّ أيّ واحد من الطرحين لا يرضي العاطفة والعقل في آن. والسياسة الوحيدة المناسبة لمصر وسوريا ولبنان هي الدفاع الجماعي المتوسطي. محبة بالعرب، ألن يعمد الأميركيون والإنكليز إلى تسليفهم إياها؟



: (Boston, 1950)

“The questions that had now to be settled not only affected the high personalities, but also the entire structure of command in this vast theatre. I had always felt that the name “Middle East” for Egypt, the Levant, Syria and Turkey as ill-chosen. This was the Near East. Persia and Iraq were the Middle East; India, Burma and Malaya the East; and China and Japan the Far East. But far more important than changing names, I felt it necessary to divide the existing Middle East Command, which was far too diverse and expansive.”

بناءً عليه، أرسل تشرشل يوم السادس من آب 1942، الساعة 8.15 بعد الظهر، الأمر التالي:

“... I therefore propose that the Middle East Command shall be reorganized into two separate Commands, namely: (a) “Near East Command” comprising Egypt, Palestine and Syria with its center in Cairo, and (b) “Middle East Command” comprising Persia and Iraq with its center in Basra or Baghdad”.

لنترجم نصّ السيّد تشرشل بما يلي:

"إنّ القضايا التي ينبغي معالجتها الآن لا تتناول شخصيات رفيعة فقط، وإنما كامل تركيبة القيادة في هذا المسرح الواسع (للعمليات). لقد أحسست دائماً أن اسم "الشرق الأوسط" بما يخصّ مصر والشرق وسوريا وتركيا كان غير صحيح. فهذا هو الشرق الأدنى. فارس، والعراق كانت الشرق الأوسط. الهند وبرمانيا وماليزيا هي الشرق بحصر المعنى. والصين واليابان هي الشرق الأقصى. لكن، وهذا كان أهمّ بكثير من مسألة تغيير الأسماء، أحسست بضرورة أن أقسم قيادة الشرق الأوسط التي كانت جدّ متنوّعة ومشدودة إلى التوسّع".

وبناءً عليه، أرسل تشرشل يوم السادس من آب 1942 الساعة 8.15 بعد الظهر، الأمر التالي: "إنّي أقترح إذن، أن يعاد تنظيم قيادة الشرق الأوسط على قاعدة قيادتين منفصلتين، أي: أ - قيادة الشرق الأدنى وتشمل مصر وفلسطين وسوريا ومركزها في القاهرة. ب - قيادة الشرق الأوسط وتشمل فارس والعراق ومركزها في البصرة أو بغداد".

أجل، كل هذا واضح وصريح والسيّد ديفيس مدعو لأن يسدّد حساباه مع السيّد ونستون تشرشل.

عندما كتبنا من قبل، أنّه بالنسبة إلينا فإنّ الشرق الأدنى نجده في شرق المتوسط، والشرق الأوسط على المحيط الهندي، والشرق الأقصى على المحيط الهادئ، كان لدينا بكل تأكيد، ومن دون أن نتذكّر ذلك، الشهادة الخطيّة للسيّد تشرشل.

علاوة على ذلك، ولتنوير السيّد ديفيس، فإننا نحيله إلى الموسوعة البريطانية، وتحديداً إلى مادة "آسيا"، حيث يمكنه أن يقرأ تحت كلمة « Boundaries » الفرعية أي (حدود):

« In both Greek and Turkish times, Asia Minor has been connected with Europe rather than with the lands to the East. A juster view of the early history is obtained by thinking of the Mediterranean countries and interacting on one another than by separating Asia Minor and Palestine as Asiatic.”

لنترجم أيضاً:

"في العهدين الهلنّي والتركي، كانت آسيا الصغرى على علاقات بأوروبا أكثر منها مع بلدان الشرق. إنّ نظرة أكثر صحة للتاريخ القديم تقضي باعتبار البلدان المتوسطيّة ذات تأثير متبادل بعضها على بعض بأكثر مما لو فصلت عنها آسيا الصغرى وفلسطين كونها كلّها آسيويّة".

إنّ تعبير الشرق الأدنى ليس أبداً مشتركاً وبشكل حصري مع الإمبراطوريّة العثمانية، كما يراه السيّد

ديفيس. ويبدو أن وكيل وزارة الخارجية لصاحبة الجلالة البريطانية يخلط بين مفهوم الشرق الأدنى، و"المسألة الشرقية". وإذا كنا نناقش هذه الحالة بطريقة جدّ ملحّة، ذلك أنّه، بالنسبة لكل الشرق المتوسطي، العربي، وغير العربي، إنّها مسألة حياة أو موت.

نأمل أن يوضع نصّنا هذا تحت نظر المحترم السيد ديفيس وأن يتفضّل بإعادة النظر في موقفه. فإن بقي عليه، فإنّنا نقول له ببساطة ما يلي: "السيد ديفيس، فلنضم من جانبنا انكلترا إلى أوربا الوسطى ولا نعود نتكلّم عنها!".

2 آب 1951

## معرفة الغرب

لا يمكن بناء أوربا بطريقة مفيدة إذا ما أبعدنا هذه القارة عن المتوسط. إن في شطر هذا البحر في منتصفه تدميراً لأوربا وأفريقيا والشرق الأدنى سوياً.

عندما يتحدّثون اليوم عن "القوى الغربية" ألا ينبغي تحديد أية قوى هي المعنية بهذه التسمية؟ هل هي فقط الولايات المتحدة وإنكلترا؟ والأخذ بما تقرضه الحقيقة أي تعداد الأمم التي يضعها موقعها الجغرافي وحضارتها داخل الغرب؟

ففي حين أن مفهوم الشرق الأوسط يضلّ، ومفهوم الشرق الأدنى يتلاشى، فإنّ مفهوم الغرب يصبح غير معرّف وغامضاً، علماً أنّه ليس هناك ما هو أكثر خطورة من استخدام كلمات جرى تغيير معناها بشكل تعسّفي.

لإيجاد "القوى الغربية"، ينبغي القيام بدورة بحرية حول أوربا مروراً بالمتوسط، وبشواطئ الأطلسي، وشواطئ بحر الشمال. فإذا أضفنا سويسرا والنمسا إلى الجدول (إذا لم نغامر مؤقتاً بما يتخطى الستار الحديدي)، فيبدو لنا أنّنا لن ننسى أية واحدة منها.

ذاك هو الغرب بحصر المعنى، الذي يفترض أن نسمّيه عندما نتحدّث عن « Western Powers » أو القوى الغربية. لكنّ الغرب يبدو الآن أنّه امتطى الأطلسي وأسقط في الطريق ثلاثة أرباع أوربا.

في السياسة العامّة، أصبح معسكر "الديمقراطيات" هو "الغرب" في حين أن معسكر الشيوعية يُعرّف نفسه بالأحرى "بالشرق"؛ إنّ المفهوم الفلسفي والسياسي تعدّى على المفهوم الجغرافي والتاريخي.

نتج عن ذلك فوضى ثقافية متكرّرة وغموضات مخيفة.

تنبغي العودة إلى المعنى الكلاسيكي للغرب عندما نكون في إزاء دمج أوربا. دمج أوربا ليس الأمر نفسه كتعريف التحالف الانتي-شيوعي. الموقف الأول يهّم أوربا جغرافياً؛ الموقف الثاني يهّم الكون.

إنّ "القوى الغربية" التي هي متوسطة بما يعادل ثلاثة أرباعها، لا يمكن استبعادها عن الدفاع عن المتوسط غير المجزأ. والشعوب المتوسطية لا يمكنها أن تتفرّق بعضها عن بعض، من دون خطر الموت. إنّ وجود تركيا في الجمعيّة الأوربية في استراسبورغ يلقي على هذه النقطة إضاءة باهرة. ومع ذلك، فهي هذه تركيا بالذات التي تعمل سياسة شاذّة على عدم إلحاقها إلا "بالشرق الأوسط".

لكي يبقى هناك توازن بين أوربا وأفريقيا وآسيا، فإنّنا نتمنّى أن تراجع حكومة لندن سياستها المتوسطية وتعريفها لأوربا. ففي هذا يكمن شرط خلاصنا جميعاً.

4 آب 1951



تعليمنا المنطق. وها إنّ الشرق اليوم هو الذي يعلن في وجه الغرب شهادة أرسطو وعلمه.

يوجد، اليوم، نوع من الانحراف في السياسة الغربية إزاء الشرق.

فإن كان يُراد أن يتفاهم الغرب والشرق بشكل أفضل وأن يصغي أحدهما للآخر، ينبغي البدء بربط الغرب والشرق الأكثر قرباً من بعضهما؛ وفي حين ينفي الإنكليز وجود الشرق الأدنى بالذات، فإنهم يرون فيه خطأً تاريخياً. إنهم ينفون وجوده دون أن يدركوا أو يروا أنّهم بذلك إنّما يلغون الخط الرابط بين أوروبا وآسيا.

في مواجهة هذا الخطأ الفاحش، هل سيكون مسموحاً لنا بأن ندعو الإنكليز إلى الـ « Common sense » أي إلى تحكيم عقلهم السليم؟

9 آب 1951

## مقال صغير في المنهج

توضيح الوضع في الشرقين الأدنى والأوسط، التمييز بين بلد وآخر بديل الخلط بينهما، إقامة وزن للشعوب وليس فقط للأراضي وللاعتبارات الاستراتيجية والاقتصادية، ذلك هو الآن الواجب الملح للغرب وهو شرط للسلام في العالم.

ذلك أنّ الغموض أدى إلى الاضطراب وإلى الربط بين القارات القديمة؛ والاضطراب موجود في النفوس. إنّ غليان الخواطر، إذا لم نسهر عليه، يؤدي إلى إفلاس العقل. إن المشهد الذي نراه أمامنا يكشف، في العمق، تقدماً نحو تفجر المشاعر التي كان يُظنّ أنها هدأت لا بل انطفأت. ولكن، عندما يُعمد إلى إثارتها، فإنّ قوى الروح هي التي تنتصر على الدوام.

وفي حين أنّ أوروبا هي في طريقها نحو الحياة الدوليّة، ونحو أخوة كتلك التي تعطي عنها سويسرا النموذج منذ زمن طويل، تعود فتظهر في آسيا، وبحالة محدّدة، الحمى الوطنيّة والحمى الدينيّة. والتحليل الأكثر سطحيّة يبيّن أن الغرب هو في أساس هذه الظاهرة؛ وإلى حدّ بعيد على أقلّ تقدير.

هناك من يودّ الدفاع عن المتوسّط مع استبعاد المتوسّطين. وهناك من يودّ الدفاع عن آسيا الجنوبيّة عبر العراق وإيران واعتماد العصبيّات كقاعدة للسياسة. ومن أجل تسهيل مهمّة أركان الجيوش في الغرب يتمّ ضرب مصالح أخلاق وحضارات. فهم يفعلون كل ما باستطاعتهم من أجل أن تشتدّ كراهية الأجانب بحيث تصبح قاتلة، ومن ثمّ يتمّ التدمر بمرارة من ازدياد ظاهرة كره الأجانب.

يجري التفكير بتوحيد العالم، وبالمقابل يُترك لمنظرين لا أفق لهم أن يقطعوا المتوسّط في وسطه على الصعيد البشري.

وبديل أن نقرّب بشكل حميم أفريقيا وآسيا من أوروبا، كما تقتضيه وتدعونا إليه سرعة هذا العصر، يتمّ الفصل في ما بينها انطلاقاً من مفاهيم سياسيّة عبثيّة. إنّ المتوسّط، الذي هو علامة الوصل الأكثر كلاسيكيّة في الكون، تتمّ التضحية به هكذا بفعل رؤى ضيقة الأفق ولا مستقبل لها.

وإذا ما عدنا إلى هذا الموضوع بمثل هذا الحماس، فلأن، مع ذلك، لسنا نحن ومصر وسوريا غائبين عن هذا المتوسّط، والذي يتعلّق بمصيره استقلالنا وسعادتنا وازدهارنا.

إنّ مؤتمراً مشتركاً بين الغرب والشرق الأدنى سويّة يفرض نفسه. فكفى هذا العناد لحلّ مصير الشرق الأدنى بنفي وجوده. وعندما يستعيد الشرق الأدنى في السياسة المكان الذي تمنحه إياه الجغرافيا، فإنّ العديد من المشاكل التي تبدو غير قابلة للحلّ سوف تُحلّ من تلقاء نفسها.

إنّ في أساس الانزعاج هو هذه الرغبة القوية جداً للملاءمة داخل الصلصة ذاتها بين أمم وذهنيّات متباينة. إنّ الشرق الأوسط، كما عرفه السيد ديفيس، وكيل الدولة في وزارة الخارجيّة، ليس سوى صورة ذهنيّة.

فندكر بأن تركيا جرى دفعها إلى الشرق الأوسط في حين أنّها تقيم في استراسبورغ. أليس في هذا ما يكفي لإظهار ما في هذه الحالة من السخرية؟

## أغنية قديمة

لقد أصبح الحلف الأطلسي بالنسبة إلى المتوسطيين لازمة لأغنية قديمة. ويُعاد الكلام عليه لأنه من هنا يبدأ الأمن.

في المخاطر الحالية، لا يمكن للمتوسطين أن يدافعوا عن أنفسهم بشكل فعال من دون أن يتشاركوا مع أولئك الذين يدافعون عن الأطلسي والغرب.

نذكر غالباً أن المتوسط ليس سوى جيب للأطلسي. فإذا لم نذكر بذلك فإن بعض الأوربيين سينسونه، والاسكندريين قبل غيرهم. من كوبنهاجن، من أوسلو، وحتى من لاهاي، هناك صعوبة أكثر لرؤية الرابط مما هو عليه بين باريس وروما وأثينا. لكن هذا الأمر يمكن أن يعود أيضاً إلى واقع أن مفهوم الشرق الأوسط إنما حلّ بشكل تعسفي محلّ مفهوم الشرق الأدنى.

إنّ الشرق المتوسطي يُصنّف قريباً أو أقلّ قريباً على ضوء علاقته بالغرب. وإنّه بالنسبة إلى الغرب يتمّ التفريق بين الشرق الأدنى والشرق الأوسط. إنّ المصطلح الجديد يورق الغرب ويضله. فهو يضع تركيا واليونان أبعد ممّا هما بالنسبة لأوروبا؛ والحالة ذاتها بالنسبة إلى المتوسط الشرقي.

على أنّ ضمّ اليونان وتركيا إلى الحلف الأطلسي يعني التضامن مع بلدين لدى كلّ منهما مقعد في استراسبورغ. وعندما يتمّ قبولهما للمناقشة داخل الجمعية في استراسبورغ، فلا يمكن، إلا بضرب من الجنون، أن يتمّ إقصاؤهما إلى المحيط الهندي. إنّ التناقض في مثل هذا الزعم لا بدّ وأن ينفجر!

وسواء دخلت تركيا واليونان، أو لم تدخل في مجموعة حلف الأطلسي، فلا بدّ في الحالتين من إيجاد الدفاع المتوسطي الجماعي؛ وإلى مثل هذا الدفاع، الذي هو مسألة حياة أو موت، لا بدّ من ضمّ الدول العربية المتوسطية.

يبدو لنا أن مشاكل مصر لا يمكن أن تحلّ إلا بهذه الطريقة؛ ومثلها مشاكل سوريا ومشاكلنا. وبهذه الوسيلة فقط، لن تكون أفريقيا الشمالية مقطوعة عن الغرب (هي التي تحمل اسم الغرب بالذات في طرفها الأطلسي) وأن لا تكون ملتحمة بشكل تعسفي إلى آسيا الجنوبية وصولاً إلى جزر السوند(Sonde).

لقد بينا، أكثر من مرة، أن حرية كبرى من الحركة هي معطاة لأعضاء الجامعة العربية. ومن هذا المنطلق أمكن للعراق أن يتمسك بشكل طبيعي بالتزاماته حيال حلف سعداباد(Saadabad) وأن يرفض الأردن التوقيع على الحلف الأمني الجماعي بين الدول العربية. إنّ مصر ولبنان وسوريا في الدرجة الأولى، هي إذن بالطبع في وضع يسمح بالمشاركة في الدفاع الجماعي للمتوسط. زد عليه، أنّ الجامعة العربية كلّها مهتمة بهذا الدفاع. لأنّه، ما الذي ستكون عليه الجامعة العربية ككلّ، وأي واحد من أعضائها، إذا ما ضاع المتوسط الشرقي بالنسبة إلى الغرب؟

إن حقيقة بدائية إلى هذا الحدّ، تستدعي بإلحاح إشغال العقل. ولكن، من الواضح أيضاً أن مثل هذا الكلام سيكون مفهوماً أكثر في القاهرة ودمشق وفي بيروت أكثر منه في بغداد وفي اليمن. بمثل هذا بالذات يتميّز الشرق الأدنى عن بقية الشرق.

إنّها الجغرافيا أولاً التي تصنع الدعوات التاريخية وبالتالي السياسية.

على الصعيد الإنساني، كل مستقبل أوروبا هو مرتبط الآن بسياستها تجاه الشرق الأدنى.



## أبعادُ لسياسةٍ واحدة

إنّ كلامنا في السياسة الخارجيّة الجماعيّة ليس هدفه مجرد مشروع وضيع. إنّما المقصود حقيقة هو مصير العرب من جهة، ومصير أوروبا الغربيّة من الجهة الأخرى.

إنّنا نذكر بشكل دائم، بأنّه إذا كان المتوسط الشماليّ هو لأوروبا، فإنّ المتوسط الجنوبيّ هو للعرب ولأمم الشرق الأدنى.

هذا أمر واضح مثل المياه الصافية. يكفي القيام بدورة حول المتوسط إمّا عبر الذاكرة أو على الخريطة، لإزالة آخر شك. وإذا كان المغرب، الذي هو مراكش، ليس عربياً بدءاً من الأطلسي، فلن يكون هناك من سبب لإرسال من يرى، وخاصّة من القاهرة، إذا ما كان يحدث شيء في مراكش أو لا يحدث فيها أي شيء.

حول هذه الفرضيّة الجوهريّة تدور إحدى المشاكل في عالمنا الحالي. ومفتاح هذه المشكلة، وحلّها، هو من دون شك بين أيدي الإنكليز الذين سيكون لهم، أو لا يكون لهم بوضوح، الوعي من أنّهم أوروبيون أولاً، ومن ثم الوعي بحقائق العالم العربي بحصر المعنى.

إنّ اللعبة التي يعتمدها، سواء مقصودة أم لا، هي في الدفع المنهجي للعالم العربي باتجاه آسيا الجنوبيّة كما لو أنّ قرطبه والمتوسط لم يعودا موجودين. من هنا هذه الفكرة الغربيّة عن شرق أوسط يبدأ في الأدرياتيك أو في إيجيه ويلغي الشرق الأدنى (كما لو أنّ الشرق الأوسط لا يفترض بالضرورة وجود شرق أدنى).

انطلاقاً من الجغرافيا ومن التاريخ، نذكر بأن الشرق الأدنى يعرف عن نفسه بالمتوسط، والشرق الأوسط بالمحيط الهندي، والشرق الأقصى بالمحيط الهادئ.

إذا كانت سياسة المملكة المتحدة والكمونولث ستخضع لمستقبلها مستقبل أوروبا، فإنّ أوروبا والكمونولث سوية سيواجهان مصيراً مظلماً عند ذلك.

وستكون أميركا، وسيكون الروس وكذلك الصفر الذين، مع مسار الزمن، سيكونون في المقدمة في كل

مكان. لقد كان توكفيل<sup>(Tocqueville)</sup> يرى ذلك منذ أكثر من قرن.

لكن إذا كانت نهضة أوروبا تعتبر بالنسبة إلى الإنكليز أمراً لا يستغنى عنه لخلاص إمبراطوريتهم، عندها يتغيّر كل شيء، والسياسة الشرفيّة لإنكلترا عند هذا الحد، لا ينبغي أن تضيّع الشمال. عليها أن تبقى للمتوسط وجهه الكلاسيكي ودوره كصلة وصل بين القارات القديمة الثلاث وكعامل حاسم في مجالي الحضارة والسلام.

إنّ السياسة الشرق-أوسطيّة الحالية لإنكلترا، وتحت ذريعة بُعد استراتيجي، تمارس العنف ضد طبيعة الأشياء. إنها تفترض إنكار العلاقة الطبيعيّة التي هي الشرق الأدنى بين أوروبا وأفريقيا وآسيا. وعلى الإنكليز أن يعيدوا النظر بسرعة في هذه السياسة خدمة لمصلحتهم الخاصة ولمصلحة الحضارات التي يناضلون من أجلها. وليس هناك ما هو أكثر إلحاحاً، وأكثر حيويّة. ومن دون ذلك، لا يمكن أن نأمل بأي توازن بين المتوسط والمحيط الهندي، وسنكون أمام خلاصة تعسفيّة لقوى متعارضة أو متناقضة هي دائماً في حالة غليان وهي التي ستحفظ صورتها في الخيال.

إن الشرق الأدنى "المغلوط تاريخياً" لدى الخارجيّة البريطانيّة "الشرق الأدنى" "الضائع"، الشرق الأدنى الذي نناضل من أجله ونفرح بأن نجده تحت ريشة السيد رينه بينون (M. René Pinon) في عدد 15 أيلول من "مجلة العالمين (Revue des deux Mondes) إذ هو يطرح منذ البداية موضوع "دول الشرق الأدنى، الأوربية، الآسيوية أو الأفريقيّة".

نحن لا نعرف الشرق الأدنى بشكل مختلف منذ أشهر. لهذا فإن نلغي، على المستوى السياسي، الشرق الأدنى، فهذا يعني إبعاد آسيا وأفريقيا وأوروبا تبعاً عن بعضها البعض، إنّه مزيد من الإثارة لدى القوميات الزائدة الحدة، إنّه تهيج للمشاعر، إنّه خلق مواجهة جنونيّة بين الأديان والأعراق. من كل هذا، فإنّ إنكلترا هي، من اللحظة الحاضرة، الشاهد والعامل. فهل من الممكن أن لا تستخلص، من ذلك، في النهاية، فلسفة وعقيدة؟

2 تشرين أول 1951

## مسيرة الحقيقة

إن ولادة سياسة متوسطة جماعية، ينبغي التفتيش عنها في محادثات أنقره.

إن للحدث أهمية خارقة، ويمكن أن نرى فيه بداية ردّ اعتبار للمتوسط.

في المتوسط الشرقي، فإن الصلة ينبغي أن تتم بشكل أساسي بين تركيا ومصر، ولكن بين تركيا ومصر يشكل لبنان وسوريا بدورهما هذه الصلة.

إن الدعوة التاريخية للبلدان المتوسطة للجامعة العربية تتكشف وتتوضّح، وتحت شعار الجامعة، تجد السياسة الجماعية شركاء طبيعيين.

إن تركيا، وقد قبلت مع اليونان، بالانضمام إلى الحلف الأطلسي، تجد نفسها، بعد الآن، في مركز الدفاع المتوسطي. هذا يجد تبريره في موقعها الجغرافي ووسائل المقاومة التي تمتلكها. بالنسبة لسوريا ولبنان ومصر، فإن تركيا هي الدرع والترس.

إن كلّ ما يسهل مهمة تركيا، في سياق سياسة عامّة عاقلة، فإن من واجب العرب أن يفعلوه. فإذا كانت تركيا في سلام نكون بمأمن معها. وإذا كانت في الحرب، فلن نكون مهتدين مباشرة إلا إذا خسرت.

ها هي تركيا إذن في مؤتمر مع الأميركيين والإنكليز والفرنسيين. وبمجرد أن يكون سفراء هذه القوى قد تمّ استقبالهم معاً لدى رئيس المجلس التركي، ولدى وزير الخارجية، فهذا أمر مدهش. أما الاتصالات القائمة بين الضباط الكبار للدول الأربع، فهي في المستوى نفسه. فهم يشيرون إلى ما يجري التفتيش عنه، وهو أن المتوسط الشرقي لم يعد غارقاً ضمن شرق أوسط لا شكل له، وأن الشرق الأدنى يولد من جديد.

إن طروحنا وحججنا، المطوّرة بشكل مستمرّ، تتخذ طابعاً صلباً. فهي تصبح شيئاً آخر وليس مجرد نظرية منطقية مدعومة بجدلية صارمة. هذه النظرية وهذه الجدلية لديهما سوية وبوضوح هدف نهائي وهو إنقاذ المتوسطيين، العرب وغير العرب، من خطر الموت. وليس هناك بالفعل سوى الخطر الشيوعي الذي يُخشى منه. وكما الشيوعية، فإن فقدان الجوهر، وأزمة الإنتاج المؤدية، تهدّد الأمم.

إن لدى العرب الآن حظوظاً أفضل للحفاظ على شخصيتهم. إن لديهم الوسيلة للخروج من المتاهة.

ولكن، نحن لسنا إلا في الخطوات الأولى. ويجب أن يتدخّل العقل السليم حالاً. ينبغي أن تدرك مصر وسوريا ولبنان الإمكانيات المفتوحة أمامها وكذلك التوجّه الجديد (الذي هو التوجه الأبدي) لمصيرهم.

إنّ رغبتنا هي في أن يتمكن ضباط كبار من البلدان المتوسطة ومن الجامعة العربية، في أسرع وقت، من متابعة أعمال أنقره، ومن ثمّ الانضمام إليها، وأن يجد المتوسطيون الآخرون بدورهم مكانهم حول الطاولة المستديرة.

هذه هي الوسيلة الوحيدة، لنا جميعاً، لحماية الاستقلال عبر الاعتراف بالترابط (Interdépendance).

فنجي أخيراً، كما لو كانت فال خير وسرور، هذه الألعاب المتوسطة التي تجري في الإسكندرية، ومن خلالها تعود مفردات التاريخ والتراث لتظهر في المتوسط الشرقي من جديد بعد غياب عشر سنوات، إنها علامة جيّدة من أجل المستقبل.

9 تشرين أول 1951

# مسيرة الحقيقة

(تابع)

إننا على وشك أن نجده؛ إنه ينوجد. ومعه تتوجد سياسة عاقلة من أجل الأماكن المعدّة سلفاً حيث نعيش.

الشرق الأدنى يستعيد الحياة. والقاموس السياسي يجعل منه مجدداً تعبيراً شائعاً.

والمثير للعجب أن يتمكّن تعريف ملتبس لمركز الثقل في العالم القديم، إلى تعطيل مسار الأمبراطوريات إلى هذا الحد. ولكن، لا يمكن استخدام العنف ضد الجغرافيا والتاريخ من دول مواجهة العقاب، وهكذا هي في السياسة خاصة، قيمة الكلمات التي يمكن لقاموس غير صحيح تحويرها وتحوير مستقبل الأمم معها.

إنّ الشرق الأوسط، كما جرى تعريفه تعسفياً في السنوات الأخيرة، هو موضوع دائم للاضطراب السياسي والاجتماعي. فهو يجمع، ضد طبيعة الأشياء، قوى ومصالح متناقضة. إنه يحمل في ذاته بذرة الفوضى والقساوت السياسية والاجتماعية من كل نوع.

وبفضل الأمثولات التي تقدّمها الأحداث، فإن السياسة تعود فتعرّف بشكل أفضل وأوسع لأهمية فقه اللغة (فيلولوجيا).

السيد ماك غي (M. Mac Ghee) مساعد وزير الخارجية الأميركي، تكلم عن الشرق الأدنى في اجتماع عام في أطلنطا سيتي. والسفير الأميركي الجديد في لبنان، السيد هارولد مينور (M. Harold) Minor، تكلم عن الشرق الأدنى قبل ركوبه الطائرة متوجّهاً إلى بيروت. والوكالات البرقية الدولية، والصحافة الكبرى، والكي دورسيه يتكلمون عنه. تقول وكالة الصحافة الفرنسية: "إن موضوع الدفاع عن الشرق الأدنى، هو الآن هدف لمحادثات أولية تطرح موضوع مشاركة مصر في النظام المقترح". من جهتها، تكتب صحيفة لوموند: "مهما يكن من أمر، وأكثر من أي وقت مضى، فإن التعاون الوثيق بين القوى الكبرى الثلاث، وبينها وبين تركيا، هو الشرط الواجب للدفاع عن الشرق الأدنى". لكم هي الحقيقة بطينة لتظهر! أخيراً ما يفكر به السيد تشرشل عن حقيقة الشرق الأدنى نعرفه من خلال الجزء الأول الأكثر جدّة من مذكراته.

إنّ الشرق الأدنى، يعود فيرى نور النهار بعد نفي طويل. لقد كان ضرورياً بروز حقيقة ناصعة لكي تفتح ثغرة في صغور نيلوسو، يصبح هناك إدراك أنّ جوبلما كبريطسونا ريصمي بالتعبير، في صغور المتوسيط النكبة حيث النزوة الشرق أوسطية للاستراتيجيين قد ألقتهم فيها.

في المحصلة، فإن مصب النيل، والشاطئ اللبناني والسوري، قبرص وخليج اسكندرون، وأسيا الصغرى الكلاسيكية، وإيجيه والجزر وهلسبوننت (Hellespont) لا يمكن أن تختلط بعدن، وحضرموت وبحر الهند ومسقط. إنها أشبه بعملية قيامة من القبر.

إنّ فرحنا طبيعي إزاء التوجّه الجديد للسياسة الكبرى. وبهذا سيتوقّف الضلال الذي جعل من الشرق الأدنى إحدى المناطق الأكثر بلبلة على وجه الأرض.

عبر ضبابية المشاكل المطروحة، نلمح عودة إلى النظام، وبمعنى الروح والذكاء، بمعنى الحضارة إذا شئنا، نلمح حظوظاً بالتحرّر.

12 تشرين أول (أكتوبر) 1951

## مسار تاريخي

إن مسعى السفراء الأربعة في القاهرة (هو حدث حقيقي. وهو يعترف ضمناً بواقع الشرق الأدنى. فهو يبرز أهميته الحيوية. كما يؤكد ضرورة قيام قيادة عليا للدفاع الجماعي في مصر.

إذا ما واجه هذا المسعى صعوبات لفترة زمنية، فهذا عائد إلى أن مصر وهي تعمل لحلّ في قناة السويس فإنها تسعى لحلّ آخر في السودان.

إن مصر هي على تقاطع الطرق. ومع كل المحبة التي يكتفها لبنان لها، فإننا ننصحها بالاعتدال والحذر.

لقد جاء الوقت الذي على مصر أن تأخذ فيه حصتها البارزة في السياسة الدولية. وإذ تجهد للحصول على كافة المنافع لمثل هذا الوضع، فإننا نفهمها تماماً، ونأمل أن تحقّق ذلك؛ وإنما يوجد هناك أيضاً أمن الشعب المصري وأمن الشرق الأدنى، والواجب الدولي والأمر الملح، وهذا الترابط بين الأمم الذي هو السمة المركزية للسياسة المعاصرة.

لم يعد هناك عزل ممكن، "فخم" أو وسط أو تافه. إن حالة العالم تفرض اتساعاً في الرؤية يساوي أبعاد ومشكلات هذا الزمن والاكتشافات الجديدة. فلن ندافع عن أنفسنا أبداً على الحدود فقط، وإنما لأبعد من ذلك بكثير؛ وإن إلغاء المسافات والابتكارات تفرض إعادة النظر في المخططات والأفكار.

وفي في أي مكان في العالم، تجد مصر مدى العطف والتفهم كما في لبنان. وأيضاً لا بدّ للبنان من أن يعيد تذكير مصر أنه، بفعل الفكر القوي والآفاق المتسعة للكبير محمد علي، عليها أن تعيد النظر في السياسة الحالية. وأنه بإمكانها، في هذه المرحلة، مع تحقيق مصالح متنوعة، أن تستقطب مديح واحترام الكون.

إن مسعى السفراء جرى إبلاغه للبنان. من جانبنا، نرى فيه، وبالرغم من العائق الموقت في مصر، وعداً لتفاهم مثمر.

إن ما ستأخذه مصر في الاعتبار قبل كل شيء هو الخير العام وهو أيضاً الضرورات؛ إن صعودها إلى أحد المواقع الأولى في الحياة الدولية يمكن أن يعني تجديداً للشرق الأدنى كله.

في القاهرة، مهما كان الردّ اللاإرادي وردّة الفعل سريعين، فمن دون شك سيكون هناك مجال للتفكير؛ إذا ما أردنا أن نحلم بذلك، إنّه عصر جديد يبدأ.

16 تشرين أول (أكتوبر) 1951

## عن الدفاع الجماعي

إن الدفاع الجماعيّ يعني ضرورة منع الحرب. وليس هناك أمر أكثر إلحاحاً منه في الطرف الحاضر. إن فقدان التوازن بين القوى المتواجحة يؤدي إلى نتيجة طبيعية وهي جعل التجربة أقوى لدى الأكثر قوةً. والأكثر قوةً يمكن أن يستسلم للرغبة في المهاجمة، خاصة إذا ما راهن على الثورة عند الآخرين.

هل على العالم أن يتسلّح أو أن يتخلّى عن سلاحه في الوقت عينه. وبما أن الريبة هي في كل مكان، لمن نعطي ثقتنا من دون امتلاك القوة اليوم؟ وإن الكلام عن نزع السلاح في الوقت الذي تتكاثر فيه التفجيرات الذرية يبدو وهمياً وتافهاً.

علينا أن ندرك أخيراً بأن القوميات الضيقة ليس لها مستقبل. إن كل حظوظ الأمم موجودة في معرفة الترابط بينها وفي ضرورة التعاون. يمكن الدفاع عن فكرة، عن مبدأ أو عن مبدأ آخر. وليس من الممكن عدم اتّخاذ موقف عندما يكون أساس الحياة في الميزان.

إن توجيه بلدنا نحو عزلة سياسية كبيرة جداً، هو خطأ في طريقة خدمة هذا البلد، أو إضرار به. زد على ذلك، أن ما يطفح معه الكيل كلما تعلّق الأمر بالشرق الأدنى وبالبلد التي تعاني من أزمات في هذه الآونة، هو أن ننسى الوضعية الجغرافية لهذا الشرق الأدنى. فلا ينبغي القول إن الشرق الأدنى يقع خارج الخطر أكثر من أستراليا أو من غرونلندا (Groenland) في الوقت الذي هو، وإلى الأبد. على تمفصل ثلاث قارات وفي النقطة المركزية الحساسة للعالم؟

إن بلدان الشرق الأدنى بحاجة، في هذه الآونة، إلى قادة سياسيين ينوّرون الرأي العام ويوجّهونه، وليس إلى أناس يتبعونه في البلبلة وفي الخطأ. إن الزعيم الذي تنقصه الشجاعة على مثل هذا المقترح لا يستحق أن يكون زعيماً. وسيصبح الشعب هو مصدر الحقيقة.

إن الأخطار التي تتعرض لها الأمم كبيرة جداً، وتلك التي يتعرض لها الشرق الأدنى هي بين أكثرها جسامة. ولا يمكننا أن نحسب أن منطقة حيوية إلى هذا الحد يمكن أن تصبح مستثناة (من المخاطر) بحظوة ما، أو كأن يتم التعامل بشأنها مع فاتح شهيم.

إن الدول التي تحوي في تراثها الجغرافي قناة السويس والمجال الجوي الأقصر من الغرب إلى الشرق، وكذلك النفط، لا يمكنها أن تأمل بإمكانية الدفاع عنها ضد استخدام السلاح النووي إلا بفضل احتياطات استثنائية. وإن مصلحة مالك الطريق ومالك النفط بأن لا يهدّد أو يدمّر لا هذا ولا ذلك.

بمثل هذه الأمور ينبغي أن نفكر عندما نسعى إلى حلّ لمشاكلنا الحالية. وأمام مثل هذه الحقيقة علينا أن نتوقّف. إن الخطاب السياسيّ الشرق أدنويّ سيضعنا جميعاً في سياق حيلة خبيثة وشنيعة، إذا ما استمرّ سطحياً وفارغاً من المضمون إلى هذا الحدّ. لقد جاء الزمن الذي يفرض أن نرى الأمور بأبعادها الكبرى حجماً ومدى. ولسنا نعتقد أن بلدان جامعة الدول العربية لديها أدنى رغبة للتعرف على عدوبة النظام الذي تحيا تجربته المحيية البلدان البلقانية خلف الستار الحديدي.

يبقى أن هدف الجميع هو السلام. وإذا كنّا نريد السلام فعلياً أن نتوخّى الدفاع الجماعيّ الذي هو وحده ينظّم هذا السلام ويضمنه. ولا يمكن، على الإطلاق، تصوّر دفاع جماعيّ في شرق المتوسط يُغيّب عنه المتوسطيون الأساسيون والولايات المتّحدة.

سنكون نخلف بواجب المحبة نحو مصر إذا لم نشدّد على هذا الأمر. إن تضامنا مع المصالح الأساسية لمصر له نتيجة طبيعية، ألا وهي تضامن مصر مع مصالحنا. فأن يكون ملك مصر هو أيضاً ملك السودان، فهذا ما نتمناه من صميم قلوبنا. ولكن ما نأباه هو إفلاس المنطق، وانفلات التصرفات الوطنية المترمّة، وتفاقم الخطر والفوضوية.

25 تشرين أول (أكتوبر) 1951



## الدفاع الجماعي دائماً وأبداً

إن الدفاع الجماعيّ هو موضوع جدّ ملحّ، وكبيرُ الخطورة، ما يفرض أن نتعاطى معه بكلّ اهتمام. في الأساس، إن القناعة لدى الغالبية الكبرى قد تحقّقت. ولن يكون هناك من مجال للتردد ما لم توجد رغبة في مراعاة جانب مصر. بالتأكيد، تنبغي مراعاة جانب مصر؛ ولكن يجب، عند الحاجة، الدفاع عنها ضد مشاعرها الخاصة بالذات.

ذلك أن مطالبات مصر لا تختلط مع الدفاع الجماعيّ. هذا أمر شديد الوضوح. وإنّما بفضل الدفاع الجماعيّ فإن المشكلة الأساسية لدى مصر يمكن حلّها. إذ من هنا يتوقف موضوع قناة السويس عن أن يكون موضوعاً للنزاع. أما بالنسبة إلى السودان، فإن وزير خارجية مصر نفسه، كان قد تحدّث منذ أيام، في باريس، عن استفتاء. لقد تحدّث عن استفتاء ضمن شروط عرضها أمام الأمم المتحدة، واقترح لتأمين الثقة حول التعبير عن الإرادة الشعبية أن تكون بإشراف دولي.

هذا يفتح الطريق أمام مخرج مشرف. وما لا يمكن عمله على الأرض، يمكن تحقيقه ضمن مهلٍ معقولة. إنّ مصر هي من البلدان الأكثر تعرّضاً في العالم للهجمات الجوية، للقنابل ولعمل القوات المجوّلة. إنّ أعمال العنف لعمليّ عدوانيّ يمكن أن تصيب قناة السويس كما أصابت من قبل بيرل هاربور (Pearl Harbour).

إن القتال يمكن إغلاقه بلحظة؛ وطريق آسيا نحو إفريقيا تصبح أكثر خطورة للمرور.

إنّ القوى الغربية من دون شك، وإنّما بلدان جامعة الدول العربية أولاً، لا يمكنها تحمّل ضربة كهذه من دون أن تصاب باهتزاز عميق.

إنّ ألعاب الدبلوماسية صارت تحسب بعد الآن بين أكثر الألعاب المحفوفة بالمخاطر في العالم. وفي مقابلها فإنّ الواقع يبدو ساطعاً وقاسياً. فالتهديد يذهب إلى أبعد ما يمكن تصوّره. ومع ذلك يتمّ التداول كما لو كان اللعب فوق المخمل أو كما لو كنا لا نزال في زمن المماليك.

إنّ المحبة لمصر تفرض أن لا نترك مصر تتعرّض للأسوأ. فليس الخلاف مع انكلترا هو أساس النقاش، وإنّما الأساس هو تنظيم الدفاع عن العالم العربيّ، وآسيا الغربية، وإفريقيا الشرقية ضد مشروعاتٍ ممكنة صاعقة وقاتلة.

ومن أجل هذا، فإنّ التفكير في الأمر هو ضرورة قصوى، ومن أجل هذا، فإنّ بلدان الجامعة عليها واجب الامتناع عن التفكير بكل ما يمكن أن يصبح غير قابل للإصلاح (وذلك خدمةً لمصلحة مصر بالذات).

إنّ شركاء مصر في الجامعة تصرّفوا حتى الآن، وبشكل عام بكل حكمة. وستكون مصر، بعد قليل، مدينة لهم. فعليهم أن لا يُصابوا بالقلق وأن يستمرّوا في هذا الموقف من التوازن والعقلانية.

إنّ الخلاف المصريّ مع انكلترا سينتهي، وعندها فإن الدفاع الجماعيّ سيبود عندئذ الأساس للسياسة كلّها.

إنّ دول الجامعة، تمتلك حتى هذه الساعة حظوظاً أكثر مما تعاني من كدر. ويمكن الوصول إلى المزيد إذا ما طُرحت فكرة الجلوس فوراً حول طاولة للتفاوض.

إن الوقت الضائع يمكن استرداده؛ ولكن لم يعد هناك زمن كي نضيّعه، بكل تأكيد.

23 تشرين الثاني (نوفمبر) 1951



## من إفراط لآخر

إذا ما كشفت بلدان الجامعة العربية عن أفكارها العميقة علانية فسينجم عن ذلك الاختلاف والشقاق. قبل ذلك، فإنّه احتراماً لمصر، لم يتمّ تقويم بعض أحاديث الأمين العام للجامعة أو التعليق عليها بأسلوب عاطفي. لكن استذكار هذه الأحاديث المتناقضة والسطحية يبرّر الكثير من الريبة في ما بعد.

بما يخصّ لبنان، يمكننا القول، بصوت عال، ما يتمناه ويأمله العدد الأكبر من سكّانه في عمق قلوبهم. إنّ أمنيّتهم الأولى أن تُحلّ الأزمة الأنجلو-مصرية برضى صديقتنا مصر على مستوى الحقّ الصرف؛ وعلى الصعيد العملي، بتدابير عادلة، تؤمّن لمصر، للشرق الأدنى، وللشرق الأوسط الأمن والسلام في ظلّ المخاطر التي يعاني منها العالم.

الأمنية الثانية، أنه في حال احترمت (هذه التدابير) بالشكل الذي تمّ الالتزام به، استقلال وسيادة الدول المعنيّة، وإذا لم يكن فيها أيّ تعرّض يتناول جانب إسرائيل، فإنّ الدفاع الجماعيّ يتحقّق.

كل ما نسمعه خارج ذلك لا يمكن الاعتماد عليه ويجب أن نقابله بكلّ تحفّظ.

ذلك أن الشرق الأدنى يعرف جيّداً أنه يواجه مخاطرة كبرى ولا يمكنه أن يواجهها وهو في حالة عزلة. ولكنّه واضح أيضاً أنّه بين الأمنية الأولى والثانية يوجد رابط بين سبب ونتيجة.

فعرّام باشا، وبهدوء أكثر، أعلن قبل أمس أنه إذا انسحب الإنكليز من منطقة القناة، فإن مصر وبقية دول الجامعة ستنتضمّ إلى أيّ نظامٍ للدفاع يمكن أن تقترحه الولايات المتحدة.

هذا ممكن؛ ولكن عرّام باشا ليست لديه السلطة ليلزم الآخرين كما يفعل، وأن يحرّر الناس على هواه. هذا هو الضرر الناجم عن هذا الخطاب السياسيّ حيث العامل الدولي، رغم حيويّته، مضحى به بشكل متعمّد لصالح الشعور الوطنيّ.

نشرح لعرّام باشا أنه

"... نحن لم نستحقّ

لا هذا الإفراط في الشرف، ولا هذه الدناءة".

بأن نظوّع أنفسنا بعماء إلى أرادة خارجيّة كائنة من تكون. إنّ الاقتراح الأميركيّ الذي يشير إليه بصوت عال، يمكن أن يحوي، على سبيل المثال، استسلاماً ضمنيّاً تجاه إسرائيل، وهو ما لا يمكن لأيّ واحد هنا أن يرضى به.

لا ينبغي للشعور، مهما كان نبيلاً، أن يقود إلى مثل هذه الإفراطات.

إنّ المتوسّط الشرقيّ، ومنطقة قناة السويس وكل الشرق الأدنى ينبغي أن تكون هدفاً لتنظيم دفاعيّ مناسب، وإنّ الدفاع الجماعيّ يمكن بكل صوابيّة أن يحلّ محلّ الحضور الإنكليزيّ وما يخلفه من حساسيّة.

هذا يبدو لنا بأنّه الحقيقة ذاتها. وهكذا يمكن اختصار العديد من المواجهات، والآلام، في مصر وحول مصر إذا ما جرى الاهتمام بذلك فوراً.

وكي نكون أكثر دقّة، فإننا نعترف بأن مصر ستنتهز الفرصة لكي تحقّق مصالحها ولكي تتخلّص من الحضور البريطانيّ. إنّه لأمر جيّد. ولكن ينبغي الأخذ في الاعتبار المناخ الذي تجري الأمور ضمنه، والذي يمكن أن يؤدي إلى أعمال عنفٍ تصعب السيطرة عليها، وأن يمثّل، بالنسبة إلى الشارع، الذي هو في حالة هيجان ظاهرة أو مضمرة، دعوة إلى الرقص.

نحن إذن أمام قضيّة إجراءات. فبحسب عزام (الذي هو من دون شك مكلف من الحكومة المصرية لقول ما قاله)، ينبغي قبل ذلك أن يقرر الإنكليز الرحيل لكي يوضع الدفاع الجماعيّ على السكة وفقاً لخيار الأميركيين.

من جهتهم، يردّ الإنكليز أنهم على استعداد لأن يتركوا مكانهم لصالح منظمة للدفاع الجماعيّ (يمكن أن يتركوا للأميركيين مبادرة النصح بها). إن ما يحصل هو أقرب ما يكون إلى معركة فونتنوا (Fontenoy): "أيها السادة الإنكليز، أطلقوا النار!".

وبما أن الإنكليز لا يمكنهم إيجاد متّسع لتنسيق جماعيّ بين يوم وآخر، ولا بدّ من مرور وقت لإنفاذ التحدّي، فلماذا لا يُصار التمهيد فوراً لدراسة هذا الدفاع الجماعيّ الذي هو الحلّ لكل شيء؟

27 تشرين الثاني (نوفمبر) 1951

## حول الأحلاف والدفاع

كان دبلوماسي مصري يتعجب، في يوم ليس بعيد، كيف أن اسبانيا وإيطاليا واليونان لم يتم إشراكها في المساعي المتعددة الجارية في الشرق الأدنى حول الدفاع الجماعي. هذا الدبلوماسي المصري لم يكن مخطئاً في ما بدا عليه من دهشة.

ما يمكن قوله من دون أي خطأ، هو أن إيطاليا واليونان لا يمكن إبقاؤهما غربيين عن المخطط، بطريقة ضمنية على أقل تقدير. أما بخصوص اسبانيا، فعلينا أن ندرك، ولو بأسف، أنها في كل مرة تقترب من بقية المتوسطيين، فإنما تفعل ذلك من ضمن رؤى خاصة بها، وهي رؤى ليست دائماً، وعلى الأرجح، الأكثر إيجابية. إن اسبانيا، وبالرغم من كل المشاعر الطيبة تجاهها في شرقي المتوسط، فهي تعيش بشكل مفرط على الماضي. وهي تكتفي بكلمات معسولة وإيماءات نبيلة. ومن دون شك هل سنتجه إلى دفاع مشترك يبقى بالنسبة إليها ضرورة قاسية. إن جبال البيرينيه لا تغطي اسبانيا إلا من جهة واحدة ويمكن الطيران فوقها كما يُراد.

ملاحظة الدبلوماسي المصري هي مهمة بهذا المعنى، وهو إذا كانت اسبانيا وإيطاليا واليونان قد اتخذت موقفاً هي أيضاً، فإن مصر وأكثر من أي بلد آخر في الجامعة العربية سيجدون فيه دعماً طبيعياً.

لتحقيق السلام في المتوسط الشرقي، فإن اليونان وإيطاليا واسبانيا هي على الأقل أكثر أهلية من أفريقيا الجنوبية وأستراليا ونيوزيلندا. إن العلم الإيطالي والإسباني واليوناني يرى غالباً في قناة السويس، بما يسمح بأن نقدر هذا الأمر حق قدره.

وما كان يقصده السيد اندراوس بيك، الدبلوماسي المصري، وعضو البعثة المصرية في الأمم المتحدة، هو في ما يبدو لنا، أن جميع المتوسطيين، في موضوع الدفاع هذا، هم متضامنون. وهو هذا ما كنا نقوله ونكتب عنه منذ زمن بعيد.

انطلاقاً من ذلك، فإننا نأمل أن نجد المشاكل التي نحن فيها مخرجاً لها. إن المتوسط لا يمكن الدفاع عنه بفعالية بالتجزئة والتقسيم. من الضروري وجود قواعد كثيرة وقوية يمكن عبرها الإضاءة فوراً في كل الاتجاهات. تلك هي السمة الجديدة للحراسة والترصد الكلاسيكية أمام المداخل وعلى الأسوار.

لقد اقترحنا محادثات جماعية شبه رسمية بين مجالس القيادة أقله لإسداء معلومات للحكومات المتعاقبة حول ملاءمة الدفاع وطرائقه. وفي اعتقادنا، أن محادثات كهذه ينبغي أن تسبق مسعى سياسياً؛ على أن اتصالات من هذا النوع الأكثر جدارة لتكون شهادة أمام الرأي العام. إن النتائج المبررة التي يتوصل إليها كبار الضباط الكفؤين، لا يمكن لأية حكومة إهمالها.

مهما كان لبنان صغيراً إقليمياً، ومهما كانت وسائله محدودة، فإن العسكريين هم أكثر قدرة على تقويم الدفاع عنه من العوام. وهذا قبل كل شيء دور على جهاز للدفاع الوطني أن يقرّه.

29 تشرين الثاني (نوفمبر) 1951

## الرحلة الإسبانية

سيكون وزير خارجية اسبانيا مرحباً به في لبنان. وسيلقي ذات الترحيب في كل بلدان الجامعة العربية التي سيزورها الشهر المقبل.

فهل حدث من قبل أن جاء دون ألبيرتو مارتان أرتاجو (Don Alberto Martin Artajo) إلى هذه الجهة من البحر؟<sup>(1)</sup> على أي حال، لقد جاء الوقت الذي صار على اسبانيا أن يكون لديها حب الاطلاع للتوجه نحو الشرق الأدنى وأفريقيا وآسيا وهو ما نفعه نحن بالنسبة إلى تقاليدنا وشواطئها. إن انفعالات غضبها ضد جيرانها في الشمال كان لها وقعها في كل المتوسط. إن اسبانيا تستشعر حقداً يمكن فهمه ضد ثلاثة أرباع أوربّا؛ ولكن ذلك ليس سبباً لتجاهل المتوسط الشرقي إلى هذا الحد.

إن الحكومة اللبنانية والآخرين فعلوا حسناً بدعوة دون ألبيرتو مارتان أرتاجو إلى زيارة رسمية. وليس علينا أن نقصر أبداً تجاه حب الاطلاع الإسباني. والكل يعلم أن العالم العربي بكامله لديه نوع من الشوق الكئيب إلى الماضي (النوستالجيا) بالنسبة لإسبانيا. سبعة قرون من العلاقات الحميمة، الإرادية أو المفروضة، تركت في شبه الجزيرة، كما بين العرب، أثراً عميقة. إن مفردات اللغة الإسبانية مليئة بالعربية. ومن مقاطعة أستوريس<sup>(2)</sup> (Asturies) مدّ خليفة قرطبة سلطته حتى الأطلسي ولما بعد البيرينييه. والرثاء العربي لم يتوقف عن اتخاذ الأندلس موضوعاً له.

لكنّ الأزمنة تغيرت. والمطلوب الآن التحادث عن التضامن المتوسطي. إن اسبانيا، عند المغيب، هي المقابل للبنان وسوريا في المشرق. ولا يمكن أبداً تصوّر دفاع متوسطي معقول من دون اسبانيا. ولسنا نفهم بالتمام، لماذا الغرب، بأكثريته الساحقة، وتحت ذريعة نظام سياسي، يتصرف باستياء تجاه اسبانيا تاركاً هذا البلد الكبير ضحية كآبة مشروعة. ذلك أن اسبانيا التي تُعد 30 مليوناً من السكان بلا كسور و500.000 كيلومتر مربع من الأرض هي منبع واحدة من أكبر الحضارات في العالم. في أميركا اللاتينية كما في الفيليبين يتكلمون الاسبانية. وكلمة "الأسبنة" ليست بالتأكيد كلمة من دون معنى.

وهكذا، فإنّ العلاقات العربية من جانب، والعلاقات الاسبانية بحصر المعنى، من جانب آخر، تجعل من اسبانيا دولة بتدبير إلهي. كان يمكن تجاهلها أقل "لو لم يكن هناك البيرينييه"، ولكنّ البيرينييه هي دائماً هناك، واسبانيا تجد صعوبة أكبر للخروج من عزلتها.

إنّ الرحلة المعلنة لدون مارتان أرتاجو تظهر أن هناك جديداً في الأفق. من

جهتنا نحن جدّ فرحون. فمنذ اللحظة التي صرنا نرى في اسبانيا الشريك الطبيعيّ لبقية المتوسطيين، أمكن التعرف على شعورنا. وحتى السوفيات أنفسهم (الذين عقدوا تحالف العام 1939 مع النازية)، ليس عليهم أن يدهشوا من أن متوسطيي الشمال والجنوب يرغبون في أن يروا اسبانيا تشارك بنشاط في حياة البحر الداخلي.

اسبانيا ونحن، لدينا الكثير من الأمور التي علينا قولها لبعضنا، شريطة أن تبقى اسبانيا في خطّها الروحيّ وفي تقليدها. لأنّ الخلافات في السياسة تقود أحياناً بروحية الثأر، إلى مواقف غير إنسانية.

إنّ الالتباس بين الشرق الأدنى والشرق ينبغي أن يظهر بوضوح في مدريد؛ وينبغي أن يظهر بأنه غير مقبول أيضاً. لأنه إذا كانت اسبانيا تجد نفسها في بيتها في المتوسط، فستكون أقلّ ارتياحاً في الشرق الأوسط. تلك ببساطة هي الحقيقة.

5 آذار (مارس) 1952

## إيزنهاور والشرق الأدنى

إن زيارة الجنرال إيزنهاور إلى أنقره وأثينا هي حدث من الدرجة الأولى. فالجنرال يقود قوات الغرب. ولديه حظوظ كبرى في أن يصبح رئيساً للولايات المتحدة خلال عشرة أشهر. حضوره في عاصمتين رئيسيتين في الشرق الأدنى يثبت أن المتوسط ليس مختلفاً عن الأطلسي. وعندما تكون لدينا المسؤولية العليا للدفاع في تركيا وفي اليونان، فهي لدينا في المتوسط بكامله. ولكن المنطق يقتضي بأنّ دفاعاً متوسطياً يفترض أن يُنظّم داخل الدفاع الأطلسي؛ وأن يأخذ فيه جميع المتوسطيين نصيبهم. هذا يضع متوسطيّ الشمال ومتوسطيّ الجنوب، وبشكل أخوي، حول ذات الطاولة. وهذا يوضح بطريقة حاسمة العلاقات التي أرسنها الطبيعة بين أوروبا، وأفريقيا، والشرق الأدنى. إن الدفاع المتوسطي الجماعي، كان يمكن أن يكون الآن حقيقة ملموسة فيما لو تمّت مقارنته بالشكل السليم. ولكن ها هو الآن ينضح في مصر بالرغم من المصائب القريية العهد. وإذا لم يكن المنطق قد زال من هذا العالم، فسيكون ذلك حقيقة غداً. لطالما ناضلنا منذ زمن طويل من أجل هذا الحل الخلاصي.

ذلك أن لدى العرب من المبررات للارتباط بالمتوسط عشر مرات أكثر منه للارتباط بآسيا. إنّ نصفهم موجود في هذا البحر. إن التلميذ العادي يعرف ذلك. إنهم لا يصدّرون شيئاً إلى آسيا تقريباً. ومن آسيا يستوردون القليل. وسواء تعلّق الأمر بالسلع أو بالأفكار، فهي تأتيهم من الحوض المتوسطي، الذي هو مناخهم بالولادة، أو مما وراء الأطلسي حيث توجد مصادر الآليات والمال.

ومهما كانت نوعية الحياة الماديّة أو الثقافيّة التي تقلق العرب، من باكستان إلى اندونيسيا، فلن يتعلّموا منها شيئاً ولن ينتظروا أي شيء. في حين كان هناك عمليّة تفاعل دائم مع الجهة الأخرى كما يدعوننا إليها كلّ الماضي وكلّ المستقبل.

إن الحقيقة تشقّ طريقها وتحركات إيزنهاور هي علامة ذلك. وإن المشقة الناجمة عن الخروج من الغموض الشرق أوسطي يظهر كم كان متهوراً تغطيس الشرق الأدنى في الشرق الأوسط.

ولا تتعلّق الأمور فقط بالجيش، وإنّما يمكن أن نربح الحروب أو نخسرها بالسياسة. فإذا كانت باكستان ستتولى سياسة العرب، فسيكون أمام العرب يقظات مأساوية. فلا يمكن التصوّر أن مصيرهم يمكن أن يتحدّد بين كاراتشي وجافا (Java).. في حين أن أنقره وأثينا هما على خطوتين من هنا، وأن النجدة لا يمكن أن تأتي إلا من القوات التي يقودها إيزنهاور.

فلنردّد شعارنا الذي تتأكد كل يوم صدقيته تماسكاً وحياة: "من القاهرة إلى أثينا، ومن أنقره إلى مدريد". فلا يمكن تأمين مستقبل المتوسطيين بشكل آخر، ولا مستقبل أوروبا أيضاً.

## ملاحظات وأسئلة

إن الحلف الأمني بين بلدان جامعة الدول العربية موضوع على جدول الأعمال. وسيجتمع قريباً في دمشق، ممثلاً الدول المعنية لمناقشة طريقة تطبيقه.

نحن نعترف، من حيث المبدأ، بأهمية هذه الأداة السياسية. ولكننا لا نمنحها، عملياً، سوى قيمة نسبية (إلا إذا أخذنا في الاعتبار، أنه خلف العديد من أعضاء الجامعة هناك قوى خارجية عن الجامعة ولكنها ملتزمة حتماً بهذا الحلف). الحالة التي تطرح بشكل مباشر هي حالة الأردن؛ كما أنها مطروحة بالنسبة إلى بلدان أخرى.

لا أحد ينكر التعقيدات في الالتزامات المتخذة من جانب بعض دول الجامعة. من الطبيعي أن يحترم الحلف هذه الالتزامات. وبالفعل ذاته، سيصبح انتظام عمل آلية (الحلف) نظرياً أكثر منه واقعياً. إن "الفيلق العربي" لدى الأردن، مثلاً، هو قوة من طبيعة خاصة. فلقد رأينا بوضوح في حرب فلسطين عندما تم إخلاء المطارات الفلسطينية بطريقة غير مفهومة.

هل يصح الاعتقاد بأن "الفيلق العربي" يمكن، في أي ظرف، وضعه تحت القيادة المصرية من دون نية مبيتة؟ أم هل سيمكن وضعه تحت القيادة السورية؟ وإذا كان العكس، فلن ستكون القيادة؟

علينا ألا ننسى، بأن حلفاً للأمن يؤدي بالتعريف إلى وحدة القيادة وبالتالي، وعلى نطاق واسع، إلى توحيد أساليب الدفاع ونوعيات الأسلحة. ومن حيث الأسلحة، إذا لم تكن متشابهة ينبغي أن تكون متكاملة. وكل هذا يفترض تجهيزاً واسعاً. هذا التجهيز من أين سيأتي؟ أية ميزانيات سوف تدفع الثمن؟

يُقال لنا إن الحلف يهدف بشكل أدق للدفاع ضد إسرائيل. أجل، ولكن الذين سيمتدّون الجامعة بالسلح ليسوا هم من يمدّ إسرائيل بالسلح أيضاً؟

من الأفضل عدم التحدّث عن التعاون الاقتصادي. فهو يبدأ بشكل سيئ بحيث علينا أن نقلق كثيراً مما سيتبع. إنّ الجوّ يبعث على الاشمزاز حتى وإن كان يُظنّ، بين العرب، وكأننا في مراحل أعمال عدوانية.

وهكذا، فإنّ المشروع بكامله يثير البلبلة إذ هو أمر محير. فبعيداً عن النظريات والخطط الشائكة على الأرض توجد الوقائع. وكما تمّ عرضها، هل ستكون مصاغة من أجل أمننا نحن أم من أجل أمن الآخرين؟

ليس من العيب أننا نقترح منذ زمن بعيد الدفاع الجماعي المتوسطي باعتباره تقدماً حاسماً. إن المتوسط بكامله، بالكاد يكفي، لإعطاء العرب شعور الأمان.

15 آذار (مارس) 1952

## دبلوماسية وشعور

إلى أيّ حدّ يمكن لبلد أن يرتبط شعورياً بدبلوماسية أجنبي، هذا ما أكده لبنان عدة مرات. وهذا هو ~~الذي~~ <sup>الذي</sup> ~~يحدث~~ <sup>يحدث</sup> في الكونت آرمان دي شايل. وهذا يشهد لصالح الإحساس والشعور في عصر الحديد هذا حيث نحيا. هذا يبيّن كم أن شعور الكراهية للأجنبي، وخاصة عندما نجعل منه نظاماً، هو تعسفي وغير معقول وكم يصيب بالعنف قلب الانسان.

إنّ أول تيرير يُعطى لدبلوماسية جديرة بهذه التسمية هو إيقاظ المحبة والحنان لبلد ما عبر شخص أو أكثر. إن الدبلوماسية الأكثر ثقة بالنجاح هو دائماً الأكثر طبيعية والأكثر إنسانية.

في كافة الحقبات الأخرى من تاريخنا، فإنّ العلاقات التقليدية سهّلت أكثر مهمة ممثل فرنسا. لكن السيد دي شايل ينبغي فيها العثور على الشمس تحت الغيوم. إن ساعات الكسوف هي دائماً مظلمة قليلاً. إنّ حادثاً من هذا النوع أفلق النفوس والقلوب. إن المهمة كانت جدّ صعبة، أي لبناني سوف لن يوافق أنها قد أنجزت بحصافة في ذروة الكمال وبواسطة رجل أنيق وكامل؟

لقد حان الوقت لتجميع القوى المتفرقة ولوضع الغرب والشرق الأدنى في مكانهما على الخريطة. إنها

ليست بعد أعمال خفة يقوم بها مطلقو الجنّ الذين ينقلون القارات. ولكن، كما بالأمس، كنّا



كنا نتحدث عن فرنسا، ينبغي اليوم أن نتحدث عن أوروبا.

لقد شرحنا عدة مرات أن العرب ينتمون عامة إلى المتوسط وليس إلى المحيط الهندي. الجغرافيا تبين ذلك حتى البداهة. السيد دي شايبلا كانت له المزية الكبرى بأن أدرك بسرعة قصوى أن عليه أن يكون بعيد النظر وأن يرى في العمق.

إن تضامن أوروبا، يمكن التقاطه من لبنان أكثر من استراسبورغ. إن الدفاع المتوسطي هو ضرورة مشتركة لمتوسطيي الجنوب كما للذين في الشمال. مع التحفظ الواجب، يمكن التأكيد أن السيد دي شايبلا رأى انهيار الكادر القديم دونما كآبة في حين كانت ترسم السياسة الجماعية للأزمة الجديدة. لقد مشى بشجاعة مع العصر. أمنيّتنا هي أن نلتزم كل دبلوماسية الغرب بذات القواعد الأدبية.

إن الهدف هو في جعل الإرادات الحسنة تجتمع، وأن يعرف العرب والغربيون بشكل متبادل واجباتهم وحقوقهم. إن مؤشر الدبلوماسية الحية هو في تحويل النظرية الباردة إلى روح تخفق وإلى جعل الدم يسير في عروق كادت تجف.

السيد دي شايبلا نجح بأكثر عمقاً كل ما كان يأمل به. ولديه الجدارة في ذلك ونحن مسرورون من أجله ومن أجلنا. الآن، وطوال عمله في السلك الخارجي، والذي نتمناه سعيداً ومتألّفاً، سيرافقه ذكرنا الصادق مع محبّتنا الحارة.

22 آذار (مارس) 1952

## الشرق الأدنى وطريق دمشق

في عددها الصادر في منتصف تموز، جعلت مجلة "لايف" « Life »، المجلة الأميركية الكبرى، عنوان افتتاحيتها "أزمة صامتة في الشرق الأدنى" (Silent crisis in the Near East). هذا المقال كتبه الكولونيل وليم أ. إيدي، السفير الأميركي في العربية السعودية سابقاً.

إنه لمستحب، بدايةً، أن نجد الشرق الأدنى على صفحات الصحافة الأميركية الكبرى.

إن المصطلح الذي ندافع عنه يستعيد حقوقه ومركزه. فعندما نقول الشرق الأدنى، نعرف ماذا يعني ذلك ونتجنّب الوقوع في الغموض المخيف حيث أن "شرقاً أوسطاً" ممدداً تعسفاً وقابلاً للبيسوط إلى ما لا نهاية قد رمانا فيه. إن الشمال الذي طالما فقدناه، قد وجدناه أخيراً.

إن الكولونيل إيدي (Eddy) يأمل بحدوث تغيير عميق في سياسة بلاده تجاه الشرق الأدنى. ومن دون أن نشاركه في كل آرائه، وبعضها، أميركانية ضيقة وغير متسامحة، وهي مجاناً غير ملزمة لأوروباً، فإننا سوف نبقي على أمور مؤكدة تسطع منها الحقيقة.

يذكر الكولونيل إيدي، في المقام الأول، السيد فارس الخوري المحارب القديم في السياسة السورية، القائل: "جميع المخاطر التي تهدد العرب لا معنى لها إذا ما قورنت بالتهديد الصهيوني". ويبدو متأثراً بنمو شعور انتي - أميركي، بين العرب "ضد السياسة الأميركية" شعور مرده إلى أنّ هذه السياسة تعطي إسرائيل من الأهمية والحقوق "ما يعادل كل الإسلام مجتمعاً".

وبشكل أكثر دقة، هذه بعض النقاط التي يعطيها الكولونيل إيدي الأهمية الأبرز:

"إن الأميركيين الذين يظنون أن الشرق الأدنى يمكن الآن شراؤه بالدولارات سيخيب ظنهم".

"... في المستقبل القريب، فإن الأمم العربية تريد الأمن وليس الرأفة، الاحترام وليس حب البشر".

"إن لدى الولايات المتحدة عدة مشاريع بناءة يجري العمل عليها (في البلدان العربية) وهي بحاجة لجيل كامل لإعطاء نتائج ملموسة. ولا أي واحد من هذه المشاريع يساعد على حل الأزمة الحالية. إن الوضع يفرض تغييراً

دراماتيكيًا في سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الأدنى معبر عنها بالأفعال كما بالأقوال".  
أخيراً، يضيف الكولونيل إيدي ما يلي: "أن يعجب ذلك الأميركيين أم لا، فإنهم يتحملون مسؤولية الحل في الشرق الأدنى".

هناك ما يذهل لدى قراءة هذه الأفكار الخطرة في نشرة يطبع منها خمسة عشر مليون نسخة وتوزع في مختلف بقاع العالم. هذه شهادة طالما تمثّيناها منذ وقت طويل وانتظرناها طويلاً أيضاً. فلئن استمرت أميركا في أن تجعل من إسرائيل محور الارتكاز لسياستها الشرق-أدنى، فإنها ستخطئ بشكل فظيع. لكن من الانصاف التنبيه الى أنه، في حين تدور الأرض دورتها، فإن الشعور الأميركي يتطور. ليس الشعور فقط وإنما العقل أيضاً.  
ليس في إعطاء العرب بعض الدولارات، وما هو أكثر إلى الصهاينة تقدر أميركا، مهما كانت قويّة، أن تجد سبيلها.

ما يطلب من الأميركيين، حتى في هذه المرحلة الانتخابية ذات التجارب الحادّة، هو أن يجدوا أخيراً (كما قام في الماضي بولس الطرسوسي باستبدال فوري لسياسة العنف لمعبد اليهود) "طريقهم إلى دمشق".

31 تموز (يوليو) 1952

# خطوط عريضة لأمتولة في العلوم السياسية

ما دامت الدول العربية تفتش عن مستقبلها في اتجاه الشرق الأوسط والشرق الأقصى، فإنها ستمضي في "وجهة ضالّة". ينبغي أن تستعيد الجغرافيا وأن يستعيد المنطق السليم حقوقهما. بعد شط العرب لا يوجد عرب. وليس هو الاتجاه الطائفي ما يضع العرب في خط مصيرهم.

إن العالم العربي في وضع مقلوب رأساً على عقب لأنه خرج عن توازنه الطبيعي. هذا التوازن هو بالضرورة متوسطي. نصف المتوسط هو للعرب. إنّه من غير المعقول، في ظروف كهذه، تجاهل المنطقة حيث ولدنا وحيث لا نزال نعيش، لصالح جهة من العالم، التي هي، عملياً، غريبة عنّا. أجل، إن لإيران وباكستان وإندونيسيا، بكل تأكيد علاقات سياسية واقتصادية واجتماعية مع العرب أقلّ من علاقات العرب بإسبانيا، وفرنسا، وانكلترا وبعض الآخرين. إذا كانت توجد في العالم منطقة تستدعي الوحدة بشعبها، ومناخها، وشكلها الجغرافي، وثرواتها وظواهراتها الحيّة، فهي بالضبط هذا المتوسط الذي ليس سوى بحيرة وُيراد قسمتها وتقريعا أيضاً.

إنّه لزيغ سياسي ذلك الزعم بأن نجعل، مثلاً، من المغاربة الذين هم في الطرف الغربي من أفريقيا، الشركاء للإندونيسيين الذين هم على الطرف الشرقي من آسيا للسبب الوحيد، وهو، أن هذه الشعوب التي ليس بينها أي شبه فيزيائي، ولا ذات اللغة، ولا ذات الحضارة، وإنما فقط ذات الإيمان.

إنّ الإيمان هو رابط نعرف ما هو عليه من فضيلة وقوة. نحن نقدر هذا الرابط حقّ قدره، نحن الذين نضع ما هو روجي فوق كل شيء. لكن السياسة التي هي حكم الناس، لها حقوقها في ذات الوقت الذي للحياة المقبلة حقوقها؛ وقرب الأراضي له ضروراته.

مع ذلك، هل ينبغي التذكير بأنه في مواجهة الديانات التوحيدية، ينتصب إحد حقود، وانه من الجنون وضع هذه الديانات الكبرى في صراع مفترض في ما بينها، في حين أن إنكار الله هو الذي يهددها؟

إن "طريق الهند"، هي، إلى حد كبير، في أساس هذا الاضطراب؛ ولكن، ها هي الطرقات تتكاثر، وهي حيثما كان حرة ومفتوحة، على الرغم من اختناق البحار وطرق السماء.

على العرب أن يعودوا إلى رشدتهم بما يخصّ أصولهم وموقعهم الجغرافي وأراضيهم. هذه المعرفة تفرض نفسها بالدرجة الأولى على المواطن عزام من الجامعة المغيية. ذلك أن عزام هو متوسطي.

والآن، إذ نواجه في الدفاع الجماعي، قيادة متوقّعة للجنرال محمد نجيب، الزعيم الجديد لمصر<sup>(1)</sup>، فستكون بالضرورة في المتوسط الشرقي وبالتحديد حول قناة السويس أية رؤية لهذه القيادة. وسيكون بعكس الصواب أن نرى هذا الجنرال العربي في أحسن حال في سيسيليا، من أن يكون قائداً في البنغال أو في جاكرتا.

تلك هي محصاة باختصار، الأفكار والمواقف التي تعيد إلى الصواب بفضل التعقل والتأمل أمام الخريطة وأمام التاريخ.

كل سبيل آخر للعرب، هو على المديين القريب والبعيد سبيل الخضوع والعبودية. إن التعاون السويّ الوحيد بالنسبة إليهم هو التعاون المتوسطي.

# الشرق الأدنى، والشرق الأوسط

خصيصاً لجمعية "الأصدقاء  
الأميركيين للشرق الأوسط"  
كتبنا الملاحظة التالية:

إنّ التباس الشرق الأدنى مع الشرق الأوسط، وشطب الشرق الأدنى لصالح الشرق الأوسط هما أمر مؤسف طوال السنوات الثلاثين أو الخمس والثلاثين الأخيرة. إن السياسة البريطانية أدت، إلى حدّ ما، إلى مثل هذا الالتباس وهذا الشطب بوعي أو بغير وعي. والمتوسط الشرقيّ، مركز العالم القديم ونقطة انطلاق الحضارة الغربية، جرت التضحية به لصالح الطريق الامبرياليّ والمعروفة منذ القدم باسم طريق الهند. إن بلدان المتوسط الشرقيّ، التي تشكّل تاريخياً وجغرافياً الشرق الأدنى، تمّ إدخالها تعسفاً في شرق أوسط اعتباطيّ ومطّاط.

في حديثه أمام النواب بتاريخ 26 تموز 1951، أعلن السيد إ. دافيس (E. Davies)، مساعد وزير الخارجية الأميركي: "إنّ تعبير الشرق الأدنى المرتبط بالإمبراطورية العثمانية هو مغلوط تاريخياً في بريطانيا العظمى؛ وفي اللغة الرسمية تمّ استبداله الآن بتعبير "الشرق الأوسط".

إنّ مجموع البلدان المعنية بذلك يشمل: مصر، تركيا، العراق، فارس، سوريا، لبنان، إسرائيل، العربية السعودية، إمارات الكويت، البحرين، وقطر، ومسقط، ومحمية عدن، واليمن.. وفي جواب على أسئلة أخرى قال: إن اليونان تعتبر في مدار المتوسطّ".

على أن السمة الأساسية للشرق الأدنى هي في كونه مؤلفاً من أفريقيا وآسيا وأوروبا. فهو يمثل القسم من المتوسط الشرقي الذي كان يشكّل في بداية القرن التاسع عشر، الإمبراطورية العثمانية القديمة بما فيها اليونان. وهكذا فإن تعبير الشرق الأدنى يستجيب لمعلومة جغرافية بيقارية (أوروبا - آسيا - أفريقيا) في حين أنّ تعبير الشرق الأوسط والشرق الأقصى هما تعبيران محض آسيويين.

من هنا فإنّ الشرق الأدنى يبدو حالياً كرابط لا غنى عنه بين آسيا وأفريقيا، من جانب، وأوروبا وأميركا من جانب آخر. بمزج الشرق الأدنى بالشرق الأوسط، يتمّ إخراج شعوب بكاملها عن محورها كما يتمّ تضليلها. وإنه الشرق الأكثر سهولة لبلوغ الغرب، يتمّ إبعاده عن العالم الغربي بديل تقريبه منه.

إن الشرق الأدنى، والشرق الأوسط، والشرق الأقصى، تُعرف وتُعرف أفضل ما يكون بواجهاتها البحرية؛ الشرق الأدنى لديه نوافذه على المتوسط، الشرق الأوسط له نوافذه على المحيط الهندي، والشرق الأقصى له نوافذه على المحيط الهادئ.

مصر، لبنان، الأردن، سوريا، تركيا الآسيوية والأوربية، اليونان مع مجموعة الجزر، وقبرص، هي قوام الشرق الأدنى. العربية السعودية والعراق تنتميان إلى آسيا الغربية. جغرافياً، يتمّ اعتبارهما المنطقة الخلفية للشرق الأدنى أكثر منها للشرق الأوسط. تاريخياً، فإن شبه الجزيرة العربية والعراق لديهما تقليد وتطور منفصلان.

إنّ التفريق بين الشرق الأدنى والشرق الأوسط ليس مسألة كلمات أو ترف من دون فائدة. إنّه حيويّ لتوجيه السياسات في المتوسط الشرقيّ. في الخطة الأميركية، فإنّ المتوسط الشرقيّ سيقترب من السياسة الغربية ومن الدفاع الجماعيّ بمقدار ما لا يتمّ مزجه تعسفاً مع العالم الآسيويّ الذي يمتدّ من إيران إلى بيرمانيا، إلى ماليزيا وإلى إندونيسيا.

السيد ونستون تشرشل، في المجلد الرابع لتاريخه حول الحرب العالمية الثانية (The Second World War, Vol. IV, The Hinge of fate. Boston 1950)، كتب: "لقد أحسست دائماً بأن اسم "الشرق الأوسط" لمصر والشرق وسوريا وتركيا هو خيار خاطئ. إن هذا كان الشرق الأدنى. وفارس والعراق هما الشرق الأوسط. الهند وبيрманيا وماليزيا هي الشرق بحصر المعنى. والصين واليابان هما الشرق الأقصى".

هذه الشهادة الموصوفة جداً، مضافة إلى برهاننا، سوف تبدو، كما نأمل، شهادة حاسمة.

23 آب (أغسطس) 1952

## حول القيادة في المتوسط

إنّ القيادة البيحلفيّة (المشتركة بين الحلفاء) في المتوسط يتمّ تنظيمها لصالح قوى الحلف الأطلسي؛ لكن البلدان العربيّة المتوسطيّة تبقى غائبة عن العملية الجماعيّة. اليونانيون والأتراك موجودون فيها. والعرب ليسوا فيها. ومع ذلك فإن مستقبل العرب لا يمكن أن ينفصل عن مستقبل المتوسط.

نعود إلى طرح هذا الموضوع بالحاح لأنّ الكثيرين من قرّائنا يفهمون ذلك ويؤيّدونه. ذلك أنه من غير المعقول، أن يكون العالم العربيّ غائباً عن قيادة متوسطيّة بمثل هذا الحجم. هذا الإهمال هو خطأ.

الكلّ يعرف أنه ليس لدينا هدف آخر، ولا همّ آخر سوى السلام، وإننا نضع كل أملنا فيه. ولكن هناك حدثاً جغرافياً وضرورة سياسيّة لا يمكننا التهرّب منهما أبداً. الأمر يتعلّق بالمتوسط، ومصر وسوريا ولبنان لم يردّوا بعد على الدعوة. هذا بكلّ دقّة أمر لا يصدّق. كان التحرك يكون أكثر سرعة إذا كان الأمر يتعلّق بمجرد مغامرة باكستانية أو إندونيسية. ولكنّ المتوسط الذي يبذل الإسكندرية، بور سعيد، غزة وبيروت، طرابلس، وبانياس، واللاذقية، لم يدرك العرب أن عليهم بناء سياسة على الجماعة البشريّة التي أيقظتها وهي التي تقيم حول شواطئه.

بالتأكيد، العسكريّون يرون ذلك. فماذا ينتظر المدنيون لكي يروه؟ إنما، بالفعل، ها هم العسكريّون يحكمون في سوريا كما في مصر. ونحن نعرف جيداً قادة جيشنا الصغير وبُعدَ نظرهم لكي نتأكد بأنهم لن يرفضوا الحقيقة.

بدليل أن يأخذوا نصيبهم من منظّمة يرتبط بها جزئياً مسار العالم، فإن متوسطيّ المشرق، الذين ينظرون بطيبة خاطر إلى حدود مراكش وحتى الأطلسي، لا يودّون أن يتخلّصوا من هاجس أسويّ ملتبس وبعيد.

ومع ذلك، فما هي الساعة لإعادة إعطاء العالم العربيّ بعض الحرّيّة في التحرك وبعض الهيبة بفعل تعاون طبيعيّ مع المتوسطيّين الكبار.

إن العرب لا يرون جيداً وبما فيه الكفاية، بأن جميع حظوظهم هي هنا. من دون شك، هل سيرونها فيما بعد. ولكن الزمن يضغط. إن السياسة الداخليّة تعمي العرب وتشلّهم في الوقت الذي يتمّ فيه بناء عالم المستقبل.

فلنعدّ القول، داعين القارئ للنظر في خريطته إن قارة المستقبل قد أنجزت، من أجل حضاراتنا، من كل ما يحيط المتوسط في آسيا، في أفريقيا، وفي أوروبا. إن خط الترسيم يبدأ من شطّ العرب حتى الرأس الشمالي. والرأس الشمالي يتصل حتماً برأس الرجاء الصالح.

ذلك أن الحضارات التي نحبّها هي في خطر والأرض تصبح صغيرة جداً.

والعرب، إذا لم يرضوا بأن يروا كبيراً، سيصبحون، بدليل أن يكبروا، كمية لا قيمة لها قبل عشرة أو خمسة عشر عاماً.

## للخروج من العزلة

نتكلّم في هذه الصحيفة عن الدفاع الجماعيّ المتوسّطيّ منذ سنوات، وكنا نقترحه قبل بكثير من بلوغ الأزمة الأنغلو-مصريّة الحالة المتأزّمة التي لا مخرج منها.

إنّ المشكلات الوطنيّة والدوليّة الخلافيّة تتعقّد بمقدار ما يتباطأ حلّها. ويتمّ الدفاع ضدّ "التدخلات" الدولية بإثارة الشعور الوطنيّ. وفي النهاية، فإن الإفراط في القوميّة لا يعود يسمح برؤية للترابط "المحتوم" بين الأمم. تلك هي الحلقة المفرغة التي نحن فيها.

ولكي لا نشرد عن المخارج التي للنزاع الأنغلو-مصري، ينبغي دائماً أن ننظر إلى الخريطة. يجب أن يكون هذا المدخل الطبيعي، المدخل اليومي في هذه الأيام، لكلّ تفكّر يتناول هذا الموضوع الخطير.

إنّ قناة السويس هي طريق اتصالات كونيّة، بل الأكثر كونيّة من جميع الطرق. وموقع مصر في مقابل موقع الأردن، نقطة الربط بين أفريقيا وآسيا، يجعل من هذين البلدين، كما ومن كل الشرق الأدنى، المركز الحقيقي للعالم. بالنسبة إلى بريطانيا العظمى، إنّه المفترق الذي لا مفرّ منه في منطلق كل الكومنولث ما عدا كندا. بالنسبة إلى الدفاع الغربيّ، هو أكثر من ذلك. إنّه الغطاء للمتوسط لأوروبا، لأفريقيا، لمنابع ومصبات النفط سويّة.

كنا نقابل في الماضي بين قناة السويس وقناة باناما. لا تزال المقابلة صحيحة، ولكن حالة السويس هي أكثر أهمية أيضاً.

إن مصر، كما كل الأمم، إنّما تفتش عن السعادة. وليس عليها أن تكتفي، في سعيها للوصول إلى السعادة، بطرائق الغوغائيّة والعنف. إنّه الطريق الخطأ. من الضروريّ قياس ما هو ممكن، وليس طلب السعادة عن طريق الوهم.

إنّ الدفاع الجماعيّ، بالاستناد إلى الجغرافيا وإلى العالم، يبدو بأنه الخيار الوحيد لمصر المعاصرة والتي، مع السودان والامتداد الأثيوبي، هي باب أفريقيا. هذا لا ينبغي نسيانه أبداً. كذلك فإنّ الشرق الأدنى بكامله يتحكم في الوقت عينه بالمنفذ إلى أفريقيا وأوروبا. في الأزمة الثقافيّة والمادية، شبه العامّة، التي تجتازها آسيا، كيف يمكن للغرب أن يترك لمصر وحدها مسؤوليّة مستقبله هو؟ لا بدّ من الإجابة على هذا السؤال، وبنية طيّبة، إذا كان المطلوب الخروج من الأضاليل.

لمصر حقّ والغرب له أسبابه التي تبدو للمرء المثقف قليلاً، أسباباً من الدرجة الأولى في أهميّتها، والمأساة هي التوفيق في ما بين كل ذلك.

إنّ المفتاح لجملة المشاكل هو بين يدي الجنرال نجيب. والحلّ لهذه المشاكل يتوقف على درجة السلطة التي يتمتّع بها الجنرال (لأننا نعرف أن سلطة الجنرال نجيب يتمّ تقاسمها بشكل ربّما مفرط مع عدة ضباط).

إن الجنرال نجيب، بحسب شهادة الصيت عنه، هو رجل يتمتّع بالوطنيّة الأكثر صفاءً، نزيه، مترفع، محبوب، خفيف الروح، فهيم، باختصار، مزين بأرقى الفضائل الأكثر نبلاً. مع ذلك، فإنّ كل هذا يمكن أن يؤدي إلى الكارثة إذا كانت سلطة الجنرال نجيب غير كافية. ذلك أنّ هذه السلطة لكي تُمارس بشكل مفيد على الصعيد الدوليّ، لن يكون لها سوى هدف واحد: تقديم شرح للشعب المصري حول الموقع الجغرافي لمصر وفي الوقت عينه ضرورة اعتماد الدفاع الجماعي؛ وبعد ذلك التفاوض مع الغرب على قاعدة الحلّ النهائي لمشكلة القناة ومشكلة السودان، ضد استبدال الدفاع الجماعيّ بالوجود البريطانيّ.

لماذا، مثلاً، يكون الوجود الأميركي في الظهران شبه مزعج، في حين أن الوجود الدولي سوف يكون مزعجاً بشكل مفرط على إحدى ضفتي قناة السويس؟ والطيران الحربي الأميركي ليست له أيضاً قواعد في أفريقيا الشمالية وعلى القارة الأوربية وفي انكلترا نفسها؟

نحن في عصر الذرّة، هذا ما لا ينبغي نسيانه أبداً. فليس هناك من مسافات والأرض بكليّتها تطمح إلى سلام كونيّ لا يمكن التأمّل بتحقيقه في العزلة. وللحصول على سعادة فرديّة أو جماعيّة، فلا ينبغي أن تُمارس العنف

ضد الجغرافيا وضدّ المصير.

بموازاة ذلك، فإنّ على الغرب أن يحمل للبلدان العربيّة هذا الارتياح المشروع والضروري قبل غيره:  
تدويل القدس. وإنّنا نعود إلى تدويل القدس كما كان كاتون<sup>0</sup> القديم يعود إلى تدمير قرطاجة؛ وإنما، بكل صدق،  
لأسباب أكثر أهميّة.

13 كانون الثاني (يناير) 1953



## أبو الهول ونفرتيتي

أعلنت مصر أنها ستستبدل، على طوابعها البريدية، الرسم الملكي بوجه أبي الهول في الجيزة وعلى الأوراق النقدية سيحلّ الرأس الجميل للملكة نفرتيتي مكان رأس الملك فاروق. إن الفن دائماً ما يكون رابحاً، ولكن ذلك هو قبل كل شيء ثار مناسب للتاريخ.

في الوقت الذي نتطلع فيه مصر بجرأة وربما بجسارة نحو المستقبل، فإنها تعود لتتعلق، أكثر قليلاً، بماضيها الأكثر قدماً. فهي تعود إلى سلالة محمد علي الكبير لتسترجع ذكريات، بل إلى القرن الثامن عشر قبل المسيح وإلى عهود أخرى ذات إجلال.

إن مصر تتصرّف الآن بشكل صحيح إذ من أرضها، وبعد خمول ألفي، عادت لتظهر جماليات كثيرة. ذكّرت شعبها أنها لم تولد من آخر قطرات مطر، وليس من صفحات التاريخ لما قبل القرن الماضي. وإنما حفرياتها الأثرية واكتشافاتها في علم الأثرية المصرية الأكثر شهرة، من صنعها؟ ألم تكن بحاجة إلى العلم الكوني لكي نخرج من الظلام توت عنخ آمون، ونفرتيتي، ورمسيس.

إنّ عصور مصر القديمة هي ذات هيبة إلى حدّ كبير، بحيث تدعو إلى استحضارها بشكل مستمر. ولا أي شيء يعطي لشعب حظوظاً بالخلود كمثل عدم الانقطاع في السلسلة الطويلة التي تجعله يرتقي إلى مصادره.

هذا ينبغي أن يكون أمثولةً لأكثر من بلد ذي قومية حاقدة وهي تتوهم اليوم، أنه قبل فترة من التاريخ لم يكن هناك شيء حي أو جميل، وأن كل شيء ابتداءً مع حكم معين ومفهوم معين للحياة.

إنّه لشرف للأمة أن تجعل من كل تاريخها مجموعة موحّدة، وأن تعترف بالحقيقة وبالجمال حيثما وجد، وأن تقدّم الاحترام إلى رجالها الكبار، إلى كبار فنّانها، وكبار بنّانها، مهما كانت المظاهر الأخلاقية والثقافية في زمانهم. هذا يعني أيضاً أن لدى العرب المجال لربح كلّ شيء بالعودة إلى زمن أبي هول الجيزة وإلى زمن الملكة نفرتيتي، وأن عليهم أن يدرسوا في كل العواصم العربية وفي كل المدارس العربية تاريخ العصور القديمة الذي هو تاريخ الشرق الأدنى، أن يدرّسوه باحترام وكدنا نقول بمحبة.

إنّ كفاحنا الطويل هو من أجل أن يجد الشرق الأدنى المنبعث، تبريراً جديداً له. إنّه الماضي، وإنّها البنايات التي تنبعث معه. إنّه وجه العالم في الفتوة النضرة للعهد القديمة عندما كان الناس يصلون إلى الحكمة بفضل الفنّ، كما كانوا يسكنون الأرض بأبنية رائعة وواجهات متناسقة. من هي المرأة اليوم التي لا تود أن يكون لديها ملامح، ونعومة وأناقة نفرتيتي؟ ويعود أيضاً إلى أبي الهول ذلك القلق الإنساني فيطلب منه أخيراً أن يفشي له سرّه.

15 كانون الثاني (يناير) 1953

# على هامش الزيارة الإيطالية إلى مصر

أمر جيد أن يكون وزير الدفاع الوطني الإيطالي في زيارة حالياً لمصر بدعوة رسمية.

لا يتعلّق الأمر هنا بقضايا اقتصادية أو سياسة خارجية صرف. ومع أنه ليس مطلوباً أو مأمولاً من هذا الحضور أكثر مما يمكن أن يعطي فإنّه، بحكم الأمور سيتحدث الإيطاليون والمصريون حول الدفاع الجماعي. مثل هذه المحادثات لها حكماً أهميّة متوسطة.

الوزير الإيطالي ذكّر بأن بلاده هي "جوهرياً متوسطة" وبهذه الصفة فإن زيارته لمصر ينبغي أن تبدو طبيعية لكل فرد. ويجب أن ينظر إلى هذا الحدث على أنه أكثر من تظاهرة سياسية أو دبلوماسية من دون أفق، وإنما هي التعبير عن حقيقة جغرافية وبشرية من الدرجة الأولى كبراً وهي ستكون أكثر بروزاً كل يوم.

أن يقوم رجال دولة إسبان، فرنسيون، أو إيطاليون، يوغوسلافيون، يونان أو أتراك بزيارة القاهرة، دمشق أو بيروت، أو أن يحصل العكس، فهذا هو الأمر الأكثر منطقية في العالم.

كما أنّ متحداً أوروبياً يتمّ ابتناؤه، وكما أن متحداً عربياً يأمل في مزيد من التماسك، بالمقابل، فإن متحداً متوسطياً يفرض نفسه كضرورة مهمّة في التاريخ المعاصر. ويمكن القول، إنّه المكمل للإثنين الآخرين، والرابط الطبيعي بين كل المتوسطيين الذين في الشمال والذين في الجنوب، محاطين بالاسباني والتركيّ وبنا نحن شعوب المشرق.

إن المتوسط يبني نفسه بطريقة ضمنية، وقبل أن تصبح علنية، والمتوسطيون يتلاقون في ما بينهم. إنّه المتحدّ البشريّ الأكثر أصالة في الكون الذي يستعيد رشده بالنسبة إلى وحدته العميقة وبالنسبة إلى رسالته.

في مواجهة الترتيبات الكيفية التي تقود العرب بتهوّر إلى أقصى آسيا، فإنّ الحقيقة المتوسطية تتأكد في بساطتها. إن لديها البداهة، كما لديها طبيعة الأشياء.

كل الشمال الأفريقي، وكل الشرق الأدنى المتوسطي، كيف يمكن فصلها عن المتوسط الشمالي من دون استخدام التعسف ضد الحس المشترك؟ على أي بعد إذن هي أفريقيا الشمالية من إسبانيا، من فرنسا ومن إيطاليا؟ بعد آلاف السنوات من الانتظار ومن الأمل لدى خمسين جيلاً، هل جاء الوقت لفصل أم لنجمع؟

ما نوّده، وما نفتش عنه، هو حلّ أخويّ للمشاكل المتوسطية، إنّه حلّ يضمن وينفذ الحريات والأمن سوية.

بمثل هذه الروحية، فإن زيارة البعثة الإيطالية إلى مصر هي رمز حيّ. الأفكار تنقّم والآراء المسبقة تسقط، والعوائق تختفي، وهي التي كانت مجرد أوهاام.

توجد عائلة متوسطة لا يمكنها أن تتنكر لقراباتها الوراثية والاتحاد من دون أن تعرّض نفسها للموت؛ إن رفعة العرب مرتبطة برفعة أوربا والعكس صحيح. لقد جاء الوقت لوضع الديانات الموحدة فوق التعصبات والتاريخ والجغرافيا فوق الأسطورة والحلم.

المستقبل هو لبرلمان متوسطي كما هو لبرلمان أوربيّ. كلنا مدعوون للاجتماع حول ذات الطاولة إذا كنا نريد أن ينقذ كلّ منا وطنه وأن ننقذ كلنا سوية الوجه الأكثر إجلالاً لدى الإنسانية.

## كتلة لا شكل لها

نريد أن نعرف اسم ذلك الذي اخترع تسمية "الكتلة العربية - الآسيوية". ونظراً لما في هذه المعلومة من اللاعقلانية، ينبغي إدخال هذا الاسم في التاريخ.

إن كتلة كهذه هي رمز لمخالفة المنطق وللتبعثر. إنها تلمع بفعل التناقض ولا تظهر إلا بفضل المهمات السلبيّة التي تقوم بها.

جغرافياً، هي تخطط بين مراكش والهند، وليبيا وبيرومانيا ولبنان وسوريا مع اندونيسيا. أما سياسياً فلا يرى شيء مما هو أكثر اصطناعياً وأكثر تعسفية. إن هدف مثل هذا الالتباس لم يُكشف بعد.

إن صيغة "عربية - آسيوية" سوف تخطط ما بين العالم العربي الأفريقي وآسيا بكاملها. أين يبدأ هذا، وأين ينتهي ذلك، لا نعرف. الأهداف المشتركة نجهلها. إنه مشروع غامض. ومن المحتمل أن الذين يؤيدونه ليسوا هم أنفسهم على بينة منه. لذا، لا بدّ من تفتيح عيونهم.

هناك إرادة قويّة لنزع شخصية المتوسط العربيّة والأوربية في آن واحد. وبكل قوة يُراد توجيهه بالذهن نحو المحيط الهندي وصولاً إلى الهادئ. أما الأطلسي، الذي لا يشكّل المتوسط سوى جيب منه، فعلى العكس، لا يتكلم أحد عنه.

غير أن المتوسط هو ابن الأطلسي. فهو بمناخه، بألوانه مياهه وسمائه، بحضاراته، بتوجّه فكره، وبالفتون التي أطلقها، بالزيتون الذي يزرعه، إنّما يتميّز عن بقية الكون. إنه (في حوضه الشرقي) نقطة الانطلاق للتاريخ البشري. وله ماضيه ومستقبله. ولكنّه هو المستهدف بتشويه صورته. إنّ الكتلة المدعّوة "عربية / آسيوية" لا يمكنها الإدعاء بوجود أي تضامن في ما بينها. وإنّ المساعي التي تقوم بها، يمكن القيام بها مع مزيد من المنطق وبعشرة أنواع مختلفة.

وليس ما يجري مجرد نزاع بين كلمات. ولا نودّ أن تُضاف إلى المشاعر المتوسطيّة، التي هي من نسق آخر، مشاعر الرياح الموسميّة وجحيم المناخ المداري.

إنّ وقع أشياء الطبيعة على مواهب الإنسان هي أكثر أهميّة مما نتصوّر. وعلينا أن نأخذ في الاعتبار الذهنيّة وانعكاسات الأقاليم والبقاع المختلفة لهذه الأرض. وإنّ ما يوافق المتوسطيين، لا يمكن للباكستانيين وسكان البنغال خاصة، والأفغان، وسكان الهند واندونيسيا أن يعرفوه مثلنا.

لقد صار ملحاً أن يضع العرب دبلوماسيتهم في حالة اليقظة. فإذا كانوا مجتدين كما هم عليه الآن، فإنّهم سيهيّون لأنفسهم أياماً حزينة. في حين أن استيعاب ما هم مدعوون إليه هو بالمقابل بناء وفعال.

ليس للعرب من مستقبل خارج المتوسط. والطرح يصحّ بذات المقدار بالنسبة للجنرال نجيب كما للكولونيل الشيشكلي<sup>0</sup> وتوجّه العربيّة والعراق بالذات هو ذاته الذي لأنابيب نطهما التي تصبّ في المتوسط.

ليس علينا أبداً أن نتجاهل هذه الأمور الأساسيّة، وإلاّ نكون نذهب عكس التيارات الطبيعيّة والرياح المسيطرة. إنّنا، من جانبنا، نرفعها إلى تفكير القارئ مع الأمل في أن يتأمّل فيها.

إنّ فنّ الحكم هو، مع ذلك، فنّ أن نكون من ذوي البصيرة. إن الحكومات العربيّة الأساسيّة هي بحاجة، أكثر من كل الآخرين، بأن ترجع إلى الجغرافيا والتاريخ. إنّ البلدان التي هي مسؤولة عنها، تحتلّ الموقع الجغرافي الأكثر دقّة في الكون. أما عن التاريخ، فهو من هنا ابتداءً. وهو من هنا سوف ينتهي. وبالتأكيد لن تكون الكتلة "العربية-آسيوية" هي التي ستكتب عنه الفصل القادم.

## مدخل إلى زيارة السيد فوستر دالس

إنّ الاهتمام العاقل الذي يبديه الأميركيون، أخيراً، تجاه الشرق الأدنى العربيّ، لا بدّ من قبول دلالة الفال فيه بكل ارتياح.

لقد أن الأوان لجلاء وضعيّة تجعل كل احتمال للسلام أمراً وهمياً في هذه البقعة من العالم. وإنّه لملمح أيضاً أن نواجه معاً هذا "الدفاع الجماعيّ" الذي، كما هو دفاع عن أرض وطن، هو أيضاً دفاع عن حضارة وعن مثل أعلى.

بالنسبة إلى الأميركيين، لم يكن يوجد سوى إسرائيل على شواطئنا. لم يكن يوجد أبداً سوى المشروع المذهل العنصري الديني-السياسي-اجتماعي الذي سوف يبقى مبهماً بالنسبة للأجيال التي ستأتي بعدنا.

كما أن المتوسطيين اكتشفوا أميركا، جاء دور الأميركيين ليكتشفوا المتوسط. إنّه دورهم كي يتوقّفوا عن أن تكون لديهم فكرة النفعيّة والارتزاق عن شعوب هذا البحر.

من الواضح أن أميركا لا تستطيع تحديد مصير المتوسط الشرقي خاصة حيث يلعب الغرب مستقبله بالاستناد إلى ما يناسب الصهيونيّة ومن دون الدعم الحكيم لأوربا الجديدة.

إنّ الزيارة القادمة للسيد فوستر دالس إلى الشرق الأدنى سوف تضيء الأفق. (نأمل من ناظر الخارجيّة للرئيس إيزنهاور أن يعتمد التمييز الطبيعيّ بين الشرق الأدنى والأوسط وأن لا يخلط بين ما هو الوسط مع ما هو البداية).

إنّ المؤتمر الذي سيعقده السيد فوستر دالس في القاهرة مع السفراء الأميركيين في الشرق الأدنى (وجزئياً ربّما في الأوسط) سيكون محطّ اهتمام حماسيّ لدى الأمم العربيّة. ففي الفوطة الجلدية لناظر الخارجيّة، كما في ثنية الثوب الروماني الفضفاض، يوجد الحرب والسلام.

كلّ الدلائل تشير إلى أن السيد فوستر دالس يميل إلى موقف أميركي أقلّ اعتباطيّة وأكثر إنسانيّة. وكلّ الدلائل تشير إلى أنّه لن يكون هناك كلام للعرب عن إسرائيل من دون كلام لإسرائيل عن حدودها وعن تجاوزاتها.

لكي يحدث الانفراج، ولكي تولد رويّة التعاون من جديد، ينبغي أن تُحلّ المشاكل المصريّة من دون شك، ولكن، ما هو أكثر، حلّ المشاكل الناجمة عن مطامع الصهيونيّة التي لا حدود لها.

فلنعدّ على مسامع الأميركيين ما يبدو لنا حقيقة منذ زمن بعيد: إن بداية النهاية لن تأتي إلا من التدويل الفعليّ للقدس ومن الضمانات الدوليّة التعاقدية للحدود العربيّة.

على الدفاع الجماعيّ أن يسرّع حلّ المشاكل الانغلو-مصريّة، ولكنّه لن يقدر على حلّ النزاع الحادّ الذي يحبس أنفاس كل العالم العربي في مواجهة إسرائيل.

4 نيسان (ابريل) 1953

## بين أثينا وروما

نحن من بين أولئك الذين يهتمون لكل تقارب بين أثينا وروما. ونحن فرحون إذ نعلم بأن المارشال باباجوس (Papagos) سيزور عمّا قريب المدينة الخالدة. أثينا هي أيضاً، من دون شك، مدينة خالدة، ونودّ، على الصعيد الإنسانيّ، كما على الصعيد الرّبانيّ، أن تذهب هاتان الحاضرتان للروح نحو اتصالات حميمة.

لا يمكن أن نكون هنا مشاهدين غير مكترئين لتقّم بين أثينا وروما. الواحدة باتجاه الأخرى، ونودّ أن نرى روما بطرس وأثينا بولس تتوحّدان (كما أن بطرس وبولس لا يفترقان أبداً) للدفاع عن القيم الروحيّة، والزمنيّة، في خدمة الروح.

إنّ ماضي روما وماضي أثينا هما بحيث أنّه لا توجد حضارة، حتى الأكثر بعداً، يمكنها أن تتناسى أمجادهما وعظاياهما. وعندما تكون أثينا وروما على خلاف، لأيّ سبب كان، لكأنّ ذلك أشبه بتمزّق في الفكر، في القانون، في الآداب والفنون، كما لو كان خلافاً غير إنسانيّ بين ديموستين وشيشرون، بين أفلاطون وفرجيل.

إن العالم تطوّر بحيث أن المساهمة المتزامنة لروما وأثينا تساعد على خلاصه. وروما وأثينا هما في ذات المشروع الروحيّ والزمنيّ. ولكن هناك الأفكار المسبقة والعوائق التي على القلب وعلى الحوار الجدليّ العقلانيّ أن يتخطّياها الآن.

نحن الآخرون، هنا، على الشاطئ اللبناني، الذي هو الشاطئ القديم الفينيقي، نقدّم شهادتنا للمدائن الأم التي شهد أجدادنا ولادتها. ونتعزّى بأن صور وصيدون وبيبلوس هي ما هي، متذكّرين ما أعطته للبحر الذي يحيط بها والذي يساهم في إزاحة الستار الطيب الذكر لأثينا وروما.

يتوجب على جميع المقيمين على شواطئ المتوسط أن يكونوا متنبهين لتجدّد الصداقة بين روما وأثينا. والعرب، إذا كانت لديهم سياسة تستحقّ هذه التسمية، عليهم أن يكونوا أول الفرحين بذلك. لأنّه في هذا توجد، بحسب تعاليم جميع الجامعات في العالم، حماية حضارتهم الخاصة وثقافتهم الخاصة والتي يهددها تيمورلنك بشكل دائم.

رجال الدولة الكبار، يونانيّين وإيطاليّين، تزاوروا عدة مرّات في السنوات الأخيرة. ولا واحد من هذه المساعي له الأهميّة التي لمسعى المارشال – الرئيس لمجلس اليونان والمعروف عنه قوّة الإرادة والنوايا النبيلة. لنأمل أن تذهب هذه الزيارة في العمق وأن لا تكون مجرد لقاء رجال سياسيّين ومجالس قيادة فقط، وإنّما أيضاً مشاعر قرابة على مستوى الروح ومستوى الجسد أيضاً.

26 آب (أغسطس) 1953

## اختلافات وعقبات

في السادس من كانون الثاني (يناير 1954)، أمكن قراءة مقال مهم في "نيويورك تايمز" بعنوان: "الولايات المتحدة تدفع باتجاه حلف دفاعي بين باكستان وتركيا والعراق"

(U.S. pushing Defence Pact of Pakistan, Turkey and Irak)

هذه هي الصيغة الجديدة. الدفاع عن المتوسط الشرقي يتأخر ومعارضة مصر تجعله بعيداً. ولقد صار طبيعياً أن تتّمن الولايات المتحدة العراق كرابط بين تركيا والباكستان ("حياد" إيران هو بالتعريف، محسوب على أنّه خير جداً).

لقد بدأت المفاوضات منذ عدّة أشهر، وهي تقترب من نهايتها. وفي قصد الولايات المتحدة أن المشروع سوف يكتمل بانضمام العربيّة السعوديّة وأفغانستان.

هو هو العراق إذن يمارس سياسته الخاصّة، والحق يُقال، يمكن فهمه، وها هي البلدان المتوسطيّة التابعة

للجامعة معزولة عن غيرها.

لقد ميزنا دائماً بين بلدان الجامعة المتوسطة وغيرها. إن التضامن المتوسطي (الحساسية المتوسطة) لا يمكن فهمها بذات الطريقة في بيروت ودمشق كما في بغداد والرياض. من جهة، هذا هو الشرق الأدنى ومن الجهة الأخرى، إنه الشرق الأوسط الآن، والذي يقع في حقل الانجذاب إلى البحار الحارة.

لقد قامت الدبلوماسية الأميركية بعمل ضخم يستجيب لضرورات استراتيجية، وسفير الولايات المتحدة في العراق قاد القضية ببراعة.

إن التوجه الجديد للعراق (الذي يستجيب لطبيعة الأشياء) لا ينبغي أن يجعل العرب المتوسطيين يتناسون أن ضعفهم سيزيد وكذلك عزلتهم. إن "الدفاع" الذي ينظم على حدودهم سيدفعهم إلى تكبد ما لا يريدون، وعلى الصعيد المتوسطي ترتيب الأمور بكل حرية.

إن السياسة العربية في هذه الفترة هي الأكثر بلبلية. العراق يتحدث عن "فدرالية" هي من جهة أخرى مستحيلة وترفضها مصر وسوريا. الرئيس نجيب يحلّ تنظيم "الإخوان المسلمون" باعتبارهم "عملاء الغرب". الرئيس الشيشكلي يشدد على الاستقلال التام للجمهورية السورية والجمهورية اللبنانية في حين يعتبر أن البلدان العربية الأخرى هي بالنسبة إليه بلدان "محتلة" بدرجات متفاوتة. لماذا لم يتم التفكير بذلك قبل ذلك؟

لكن لم الشمل العربي الذي يجعل منه الرئيس الشيشكلي حجته المفضلة، كيف يمكن تصوّره خارج شكل من الفدرالية؟ والفدرالية، كيف يمكن قيامها بوجود العوائق الأساسية والعوائق الوراثة التي تعترضها؟

أخيراً، كيف يؤمل بحلّ النزاع العربي - الإسرائيلي من دون المساعي الحميدة للغرب؟ (لقد سمعنا بارتياح كبير، الرئيس الشيشكلي يطالب مجدداً بتدويل القدس).

إن بداية هذه السنة الجديدة تظهر تناقضات "عربية" من الدرجة الأولى. أي طيار، وأي قائد يمكنه أن يقود سفينة أو طائرة) من دون التعرّض للهلاك في وسط هذا الكم من الاختلافات والعقبات؟

إن الأمر الأكثر وضوحاً في التاريخ (يؤكد)، إذا لم نصبح بعيدي النظر أكثر، فهذا يعني أننا سنخرّ صرعى أو نكون في مقدمة البلهاء!

19 كانون الثاني (يناير) 1954

## مظاهر الأمن الجماعي

إنّهُ الوقت للحديث مجدداً عن الشرق الأدنى. إنّه الوقت للحديث مجدداً عن الأمن الجماعي المتوسطي. منذ إعلان الارتباط بين العراق وباكستان، فإنّ العرب المتوسطيين يرون ارتسماً أفضل لملامح وجههم. وبالتزامن ترتسم بشكل أفضل سياسة دولية متناسبة مع وضعيتهم الجغرافية ومع مصيرهم. كان العرب قد نسوا حقيقتهم المتوسطية ودعوتهم المتوسطية. كانوا يظنّون أنهم أقرب إلى الشرق الأقصى منهم إلى الأندلس واسبانيا. إنّ الشرق الأدنى، الذي هو سياسياً مكان ولادتهم، إنّما ترك ليبتلعه شرق أوسط مجسّي<sup>0</sup> ومن دون حدود. وأن يعودوا إلى رشدهم ليدركوا بوضوح من هم، فهذا ما ندعوهم إليه.

إنّ "العالم العربي" يمتدّ من طرف إلى آخر من المتوسط. فهو يمتدّ من الأطلسي والمغرب إلى خليج الاسكندرونه. على المستوى البشري، فإنّ تشنّته يصل إلى أقصى حدّ. وهو لا يستطيع، أن يذعن لعملية ضمّه إلى المحيط الهندي ما لم يفقد ذاته.

إنّ باكستان، جزء من أرضها في الشرق، وبأكثر من نصف سكانها، تلامس بيرانيا والصين. يبلغ الباكستانيون نحو 75 مليون نسمة، في حين أن جميع العرب مجتمعين لا يعدّون خمسين مليوناً.

إنّ الربط بين العراق وباكستان هو في طبيعة الأشياء. إنّ الشرق الأوسط الذي، وبشكل غريزي، يهتدي إلى طريقه ويوحّد أرضه المجزأة. والذي لن يكون في طبيعة الأشياء هو الربط بين العرب المتوسطيين وباكستان.

بالنسبة إلى المتوسطيين، فإنّ الصيغة المنطقية صارت معروفة: "من القاهرة إلى أثينا، ومن أنقرة إلى مدريد". هذا يقترحه التاريخ والضرورات المعاصرة، المنطق والحضارات.

بين الشرق الأوسط والشرق الأدنى، الرابط هو تركيا. هي عضو في المجموعة الأوروبية ولها مقعد في استراسبورغ. لها الامتياز بأن تكون عضواً في الحلف الأطلسي كما في حلف سعداباد. إنّها محور الارتكاز الذي يُنظّم حوله الدفاع عن القارات وعن البحار.

إنّه لمّح أن نفكّر جدياً بهذه الأمور. فالحكمة تقضي بأن ينطبق ذلك في القاهرة وفي دمشق كما في بيروت. لكنّ دمشق والقاهرة لديهما اهتمامات أخرى، وإنّه لأمر مؤسف...

إنّ العرب المتوسطيين، بحسب ما سيتوجّهون نحو سياسة متوسّية أو نحو سياسة للمحيط الهندي، فإنّهم يمنحون أنفسهم التوازن أو أنهم سينقادون لهيمنة شعوب بعيدة.

إنّ المشكلة هي من أخطر المشاكل في هذا العصر.

## حول توجه العالم العربي

إذا كان التوجه المتوسطي للشرق الأدنى العربي لا يعني لنا أنه مسألة حياة أو موت، لما كنا نعود غالباً، إلى موضوع يفترض أن يكون الهم الأول لسياسة لبنانية وشرق أدنوية جدية بهذه التسمية.

إن العالم العربي، بأسره، لا يستوعب كفاية المخاطر التي يواجهها والتهديدات التي تضغط عليه. فإذا استسلم لرغباته وافئتن وجذب أكثر بأسيا الأكثر بعداً، فإن شخصيته هي التي ستكون موضع مساءلة وكذلك حقيقة حقه في الحياة.

إنّ الديانة، أو الانتماء الآسيوي المشترك، لا يكفي للخلط بين الدول العربية ودول غربية عنها بالعرق واللغة والمناخات والطبائع والقوانين. إن آسيا هي أكثر من قارة، إنها عالم، وهي نصف العالم.

نحن بالذات متدينون جداً، ولذا فإننا نعرف، من جهة أخرى، أية صلة للروح وأي نبع للمحبة هو الإيمان. ولكن الإيمان والجغرافيا لدى كلّ منهما مجاله وحقوقه. فالديانة المسيحية والديانة الاسلامية هما ديانتان كونيتان (شاملتان). إن الحقيقة في أنهما كذلك لا تكفي سياسياً لوضع كل المسيحيين أو كل المسلمين في المعسكر ذاته. وهذا هو الشيء الذي يبدو أن المملكة المتحدة والولايات المتحدة وباكستان لا يرونه.

إذا كان هناك إصرار على دمج السياسة الدولية بعلامة طائفية، فهذا يعني الذهاب باتجاه فلتان الغرائز اللا إنسانية. تُحارب الشيوعية عقلياً عندما تتم مواجهتها بالإيمان بالله وليس بتحريض جماهير المؤمنين على التعصب واستنفار البعض، بوعي أو بغير وعي، ضد البعض الآخر.

فإذا تصرفنا كما نفعل الآن، فإننا بذلك نخدم الشيوعية ذلك أن ديانة روحانية يمكن أن تصبح حليفاً سياسياً للشيوعية ضد ديانة أخرى. فلقد رأينا خلال الحرب العالمية الأخيرة الاتحاد السوفياتي إلى جانب ألمانيا وقبلها إلى جانب إيطاليا، وبعد ذلك، رأينا في المعسكر الآخر عندما هاجمه هتلر...

باختصار، إن الأولى بين جميع السياسات البشرية هي تلك المرتبطة بالمحيط الثقافي والاجتماعي حيث نعيش. يمكن، في حال الضرورة، أن نفتش لأنفسنا عن حلفاء في طرف العالم، ولكن هذا لن يتمكن من امتلاك المعنى والقيمة اللذين يمثلهما التوجه الطبيعي لقوى النفس.

إن المتوسط ينتمي إلى العالم العربي بكلّ جزئه الجنوبي وكلّ طوله؛ والمتوسط هو سياسياً غير قابل للانقسام في أيامنا هذه. وهذا ما يتوجب على الحكومات العربية أن تتذكره.

هذا لا يعني، أبداً، أنه ينبغي الفصل بشكل تعسفي بين العالم العربي وآسيا. ولكن السياسة إنما هي مسألة عقل سليم وحسن تقدير وفي هذا يوجد نظام وتراتبية كما في كل شيء.

لقد أعلنت الأنباء أمس أن نائب رئيس الجامعة السورية في دمشق تمّ انتخابه، في بالرما، بسيسيليا، نائباً لرئيس منظمة ثقافية متوسطية مهمة. هذا مثل موضع للحقيقة السياسية والاجتماعية التي طالما دافعنا عنها.

إذا كان العرب لا يريدون أن يفتعوا أنفسهم بضرورة (اختيار) التوجه السياسي الذي يفرضه عليهم الجغرافيا والذكاء، فإنهم سيكونون يهينون من دون أدنى شك الطريق والفتوحات الوحشية لجانكيزخان جديد وتيمورلنك جديد.



## مخصّص للعرب المتوسطيين

المساعدة العسكرية الأميركية للعراق هي أمر مقرّر. رئيس الأركان في الجيش العراقي سافر إلى الولايات المتحدة حيث سيمضي ثلاثة أسابيع. من جهة ثانية، ستقوم بعثة عسكرية أميركية بزيارة العراق.

هذا يعني أن العراق يمارس سياسته الخارجية كما يحلو له من دون أن يقيم وزناً للجامعة العربية. هذا يعني أنه داخل الجامعة العربية، كل واحد يتصرّف كما يحلو له. ولذا يتوجّب على كل واحد أن يتذكر ذلك في لبنان.

هنا، يريدوننا، وبكل قوة، أن نبقى مربوطين بالسرة بعضنا على البعض الآخر. في حين أن جميع شركائنا في الجامعة يتصرّفون كل واحد بما يناسبه، فأني وهن في الروح وأيّ نقص يحولنا إلى هذه الحالة من الخمول ومن التبعيّة.

نحن لا نرغب من جانبنا أن نلوم العراق. إنّما نقول ببساطة، إنّنا إذا كان هدفنا أن ندافع عن أنفسنا، كما يدافع العراق عن نفسه، فإنّ توجّهنا العام لن يكون ذلك الذي للعراق. وها هنا بالضبط علينا أن نذكر بأنه ليس للعرب جميعاً ذات المصالح، ولا يمكن أن تكون لديهم ذات الاستراتيجية، وذات أنظمة التحالف؛ وأخيراً إنّ هناك المتوسطيين والآخرين.

مهما أصبحت الكرة الأرضية صغيرة، فإنّ التوزّع الجغرافي للشعوب والحضارات يبرّر أيضاً، في المحيط العربي، كما في غيره من المحيطات التي تشبهه، مواقف مختلفة في السياسة العامة. لم نصل بعد إلى نقطة الانصهار أو الإلتباس.

ينتمي العراق طبيعياً إلى النظام الاستراتيجي للشرق الأوسط بحصر المعنى، وإلى بحر الهند. في موازاة ذلك، ينتمي لبنان وسوريا ومصر إلى الشرق الأدنى والنظام المتوسطي. بين الاثنين الرابط هو تركيا. فهي تنتمي إلى النظامين. فهي من موقعي حلف الأطلسي، وهي أيضاً في حلف سعداباد. حليفة باكستان وذات مقعد في مجلس أوربا في استراسبورغ. هذه الثنائية هي في صلب مصيرها: ولكنّها ليست في مصيرنا.

صغتنا نحن، على ما نتذكرها، هي: "من القاهرة إلى أثينا، ومن أنقرة إلى مدريد"، هذا مناسب لطبيعة الأشياء. ومنذ بدأنا الحديث عن ذلك، تقاهم الاسبان أنفسهم مع الأميركيين لتسهيل كل شيء.

نستنتج مرة جديدة، منذ وقت قريب، أنّ العقبة على طريقنا تبقى الخلاف الإنغلو - مصري. إنّ أمنيتنا المعلنة هي أن يتوصل المصريون والإنكليز إلى اتفاق يُنهى الموضوع. إنّ توجّه مصر مصاب بالانحراف بسبب موضوع السويس وهو ما يدفع حكومة القاهرة، من وقت لآخر، إلى ممارسة سياسة الأسوأ.

بين بيروت.. ودمشق والقاهرة يوجد تضامن طبيعي يُقرأ على الهوية التي هي متوسطة. إلى هذا التضامن يُضاف تعاطف ملك العربية السعودية، وهو طبيعي أيضاً.

بهذه المعطيات الدقيقة علينا أن نبني سياسة خارجية.



لنتصوّر كل الأنغلو-سكسون أو كل اللاتين في العالم موحدّين من أجل سياسة مشتركة؟ كيف يمكن التوفيق، عبر هذا التشتت وهذا الاختلاف، في الأمور الأساسيّة؟

عن علاقاتنا بالغرب، أخيراً، تحدّث السيد رئيس الجمهورية بحذر، مدارياً المستقبل. كان الأمر يكون غير مفهوم فيما لو فعل عكس ذلك.

بعد كل هذا، نمتدح رئيس الدولة لوضعه النقاط على الحروف ولكن، وفي ذات الوقت، اعتبارها سطحيّة. إن النية طيّبة، وهذا ما يفرحنا. ولكننا نتمنّى، لبلدنا ولخير كل العرب، اعتماد سياسة أقلّ شفهيّة وأكثر "واقعيّة" وأكثر عمقاً؛ سياسة أكثر ديكارتيّة، ولنقل ذلك بجرأة. نحن نتمسك بما هو أكيد وهو أن ما يجعل السياسة "العربيّة" واهية إلى هذا الحد، إنّما هو الغموض المخيف في الأماكن والمناخات، والمسافات، والمواقع والقيم.

إذا ما التزمنا بالتحدّث جدّياً أولاً مع القاهرة ومن ثم مع دمشق، ألا يكون هذا أكثر فاعليّة من التحدّث بلغة شاعرية، وعبر الغموض، مع كل عرب العالم؟

25 حزيران (يونيو) 1954

## كلماتٌ جديدةٌ على لحنٍ قديم

إن تقارباً عربياً – تركياً يسير في مجراه. ومثل هذا الأمر هو في طبيعة الأشياء.

لا ينبغي أن نرى فيه، كما جرى العمل منذ بضع سنوات، نوعاً من محاولة لإعادة توحيد الإمبراطورية العثمانية القديمة، وإنما فقط ظاهرة لإقليميةٍ متوسّطةٍ ودفاعٍ جماعيٍّ على مستوى المتوسط الشرقي. بما يخص لبنان وسوريا ومصر، ينبغي أن يكون في إزاء ذلك شرط مضاعف، لسببين ملزمين: أن تكون اليونان داخل التقارب وأن تكون باكستان خارجاً عنه.

بين باكستان والجماعة المتوسّطة، الرباط التركي كاف ولا حاجة إلى رباط آخر. إن التقرب إلى باكستان هو آخر شيء يمكن تصوّره لدى المتوسّطين. كل واحد يريد سعادة باكستان، ولكن التمزق الذي سيمثله بالنسبة إلى العرب المتوسّطين، تحالف يصل إلى باكستان وما هو أبعد، فذاك أمر ظاهر للعيان.

وحضور اليونان هو، على العكس، أمن أكيد للعرب والذي سوف يزعجه هو الحديث الثنائي العربي – التركي.

"من القاهرة إلى أثينا" عبر أنقره، كتبنا عن ذلك منذ عدة سنوات، ومن "أنقره إلى مدريد" عبر أثينا، روما، وباريس.

إنّ الزيارة المتوقّعة، للمارشال باباغوس إلى اسبانيا، هي تجسيد للاحتمالات من أجل سياسة بناءً جداً. إنّ الاستقبال الرائع الذي أقامه الأتراك للملك الشاب حسين ملك الأردن يضيء الوجه الآخر من اللوحة. ويذكر أن المرحوم الملك عبدالله، معتمراً بالمناسبة القلبيق والاستراخان<sup>(١)</sup>، كان قد ذهب هو أيضاً إلى أنقره. هذا يظهر الاستمرارية لسياسة أردنية بحيث تستلهم تأثيرات أكثر تماسكاً من تلك التي للجامعة العربية. إنّ الشرط الذي يفرضه حتى التاريخ نفسه لقيام صداقة عربية – تركية، هو حضور اليونان إلى جانب المصريين والسوريين واللبنانيين.

وهكذا يسعى العرب المتوسّطون لوضع مشاريع مشتركة مع الأتراك واليونانيين. ويقوم الأتراك من جانبهم بوضع مشاريع مشتركة مع العراق وباكستان. هذا هو في نظرنا المخرج الوحيد للمشروع للنقاش المستمر منذ زمن طويل حول الخلاف الانكليزي-لمصري.

ولتحقيق رضى الجمع، فإنّ هذا التطور سيجد جزيرة قبرص على طريقه. وقد يكون في هذا حلّ لقبرص أيضاً. فما الذي يراه الانكليز؟ وما الذي يراه الأميركيون؟

25 آب (أغسطس) 1954

## إيضاحاتٌ وإضاءات حول حلفٍ للشرق الأدنى

علينا أن نقارب منذ هذا الصباح الاحتمال الذي يقترّب حول "حلف المساعدة الجماعية في الشرق الأدنى". إن الموضوع خطير جداً بحيث يستدعي الإيضاحات الكثيرة حول كل ما يتعلّق به. كذلك يخشى من وقوع أقلّ التباس. في برقيةٍ واردة بالأمس لدى وكالة الصحافة الفرنسية عن افتتاحية لصحيفة "لوموند"، ورد ما يلي:

"السيد مندريس سوف يذهب قريباً إلى مصر وسوف يسعى من دون شك للتعلّب على آخر تردّدات القاهرة في إزاء إنشاء حلف مساعدة جماعية في الشرق الأدنى. إنّ تركيا، تختم "لوموند"، تبدو مقتنعة بأن الطرف مؤاتٍ لمواجهة الحكومات العربية لدفعها إلى الانضمام إلى التشكّل التركي – باكستاني من دون التخلّي عن الدفاع عن المبادئ الواردة في حلف الجامعة العربية".

المطلوب معرفة ما هو المقصود بكلمات "الانضمام إلى التشكّل التركي-باكستاني" إنّ كلّ المسألة هي هنا. فإذا كان ينبغي، وبطريقة ما، إقامة رابط عسكري بين البلدان العربية المتوسطية والباكستان، فمن الأفضل أن نصرف النظر عن الحلف.

ولا أيّ دفاع جماعيّ يشرع عن مثل هذا الضلال. وعليه، لا يتوجب على العرب المتوسطيين القبول بتحمّل أية مسؤولية في ما يتخطى المنطقة الخلفيّة المتوسطيّة. ولن تكون هناك إمكانيّة للحمة استراتيجية لأنها سوف تلقينا جميعاً في المحيط الهندي.

إنّ "حلفاً للشرق الأدنى" يمتدّ طبيعياً من مصر إلى اليونان (أو من ليبيا إلى اليونان). وسوف يمتد في ما بعد، وبحسب الرغبة، على كل الخريطة المتوسطية. ها قد مرّت أربع أو خمس سنوات ونحن نتكلّم عن هذه الأمور التي بدت أخيراً ناضجة.

إنّ حكومة أنقره هي الحليف الطبيعي لباكستان. إننا نكتفي، نحن الآخرون، بأن نكون الأصدقاء الأوفياء لباكستان. ولكننا لا نُسقط من حسابنا أن القسم الشرقي من باكستان، أي القسم الأكثر كثافةً سكانيةً، يلامس بيرمانيا والصين. ولا يمكننا، إلا في نطاق ضرب من الجنون، أن نُجرّ إلى أمكنة بعيدة إلى هذا الحدّ.

على حكومة أنقره، في المقام الأول، أن تقدّر هذا الأمر. وعليها أن تقترح على حكومة القاهرة شكلاً يأخذ في الاعتبار وضعيّة مصر في المتوسط ووضعيتنا؛ والذي يأخذ في الاعتبار مسؤوليات مصر في المتوسط، وهي التي لا يتهرّب منها سوريا ولبنان أبداً.

إنّ ما نأمله طبعاً، هو أن ترى حكومة القاهرة الأمور بوعي. إنّ جمال عبد الناصر، بمقدار ما سوف يقترب سياسياً من كراتشي وباكستان سيكون يهيئ لسقوط حكومته ولانتصار أعدائه. إن إيديولوجيّة كراتشي وباكستان ستكون كافية لتدمير "الثورة المصريّة".

ما نكتبه هنا، سنكون سعداء أن يوضع تحت نظر الرئيس جمال عبد الناصر من جهة، والرئيس مندريس من الجهة الأخرى. سنكون شاكرين لممثلي مصر وتركيا في لبنان لإبداء حرصهم على ذلك. إنّ تنبّه القاهرة وأنقره لن يفضي، من دون شك، إلى الوقوع في الخطأ. ولكن، كما يقول المثل، رجلٌ مجرّب يساوي اثنين.

ولا في أية لحظة كان لبنان أقرب إلى مصر. إن السياسة التي ندافع عنها تعني بالنسبة إلى مصر النظام في الحاضر والخلاص بالنسبة إلى المستقبل. فإذا ضيّع مصر والشرق الأدنى العربي نفسيهما في اقتفاء الأثر الآسيوي، فلن يصبحا سوى ظلّ قبل عشر أو عشرين عاماً. نحن، لحسن الحظ، لسنا مستسلمين لمثل هذه العبوديّة ولا لمثل هذا الانحطاط تحت وطأة الإيديولوجيّة والعدد.

12 تشرين الثاني (نوفمبر) 1954

## دوّارة الرياح

هنا، إذا نظرنا إلى البحر فإنّما ننظر إلى الغرب. بالنسبة إلى الباقي من آسيا، وحيثما حللنا، فإنّ البحر يكون في الشرق. إن واجهتنا البحرية هي المعادل لواجهة أطلسيّة. بين الأطلسي ونحن يوجد طول المتوسط. صحيح أنه من هنا، يمكن النظر إلى أشياء أخرى. وإنّه لشرط لمستقبلنا أن نرى كلّ شيء.

إذ نظرنا نحو الشرق، يصبح مؤكداً أننا بالنسبة لآسيا ما هي موانئ الأطلسي بالنسبة إلى أوروبا. من كل آسيا الغربيّة، ونحو الغرب، لا يمكن الخروج طبيعياً إلا من هنا.

ليس مجاناً ما نفعله في كل مرة نقدر على ذلك وبطرق متعدّدة، بخصوص الاعتبارات المتعلقة بوضعيتنا الطبيعيّة. فهي تهدف، في كل مرة، لوضعنا تحت أضواء مناسبة أكثر. ولا يمكن لأحد أن يعترض على هذا: عندما ننظر إلى البحر نظر إلى الغرب. من لديه مأخذ حول التأكد من ذلك؟ إننا نقول ذلك ونكتبه لأمر آخر غير لذة أن يُقال أو أن يُكتب "إنّ قصدنا يلتقي قصد شارل حلو وهو يناقش، في ذات الوقت وبطريقة جدّ ملائمة وجدّ بارعة، مسألة البكالوريا وطلّاب البكالوريا اللبنايين.

آية جدوى هنا للغة العلميّة الأكثر جموداً، أو اللغة الأدبيّة الأكثر عنوبة، إذا ما كان الموقع الاستثنائي للإنسان يكامله، للإنسان الذي من عندنا، بالنسبة إلى الزمن والمجال، لا مكان له لدى الجيل الصاعد؟ هل من الممكن، والحق يُقال، أن نضع في المركز الأول من المعرفة ما له علاقة بخطوط الفرادات الخاصة والتي تجعل لنا هيئة ذات خطوط جدّ عميقة. الإنسان هنا (الشاب أولاً) لا يمكنه أن ينحصر دون أن يفقد ذاته على خط الروح أو النظر. وكل الشرق الأوسط هو ملتزم معنا في هذا المصير المركّب. فنحن لا يمكن أن نسوّر أنفسنا بأي حائط. ولكي نرى بعيداً جدّاً يتوجب علينا، على العكس، أن نصعد فوق الجبل.

هل من أحد هنا يودّ أن يحكم على نفسه بالأبديّ وجهه لجهة البحر؟ ولكن أيضاً، من هو ذلك الذي، وقد نظر إليه، لا يعود فيحلم، إذا ما دعي إليه، بأن مستقبلاً بحرياً ينتظره بفضل الذكاء وعمل الإنسان في ما يتخطى جميع الصحاري؟

إنّ الأفكار العامّة، لن نحصل عليها أبداً إذا لم ننظر إلى الأفق إلا من جهة واحدة.

وما كانت لتوجد حياة في هذا العالم من دون البحار.

# الفهرس

## صفحة

7	العالم المتوسطي لميشال شيحا بقلم شارل حلو .....
15	تحوّلات على المتوسط .....
18	بصدد أمر بديهي .....
21	هذا الشرق الأدنى .....
24	بلجيكا ولبنان .....
27	شهادة .....
29	ما قاله السيد ترومان .....
32	النقيض لعمل العقل .....
34	أهمية الشرق الأدنى .....
37	من أجل سياسة على مستوى العالم .....
40	بعد مرور ثلاث سنوات .....
43	دفاع مشروع .....
45	برلمان أوربي .....
47	رغباتنا ومشاعرنا .....
49	الحق بالحياة .....
52	اقتصاد "شاعري" .....
55	ذكريات .....
58	عن سياسة خارجية من دون أو هام .....
61	اتفاق مفرح .....
64	وجوب كتابة ثانية للتاريخ .....
67	بين الماضي والمستقبل .....
70	أبعاد السياسة المعاصرة .....
72	حدود روحية .....
75	سؤال على جدول الأعمال .....
77	كلام حول الأمن الجماعي .....
80	سفير أميركي في رحلة .....
82	من جهة البحر .....
85	تقلبات الجامعة .....
87	أمثلة الأحداث .....
90	امتناع حقيقي عن حكم العدالة .....
92	ما له الأهمية الكبرى .....
95	مؤتمر طهران الاقتصادي .....
97	الجامعة العربية في نيويورك .....
99	زمن التفكّر .....
101	حول لقاء لدبلوماسيين .....
104	بصدد رحلة .....
107	الأسطورة والتاريخ .....

109	.....	سياسة متوسّطيّة وسياسة دينيّة
112	.....	سياسة متوسّطيّة
115	.....	حجج وإيضاحات
118	.....	سياسة مركزها المتوسط
122	.....	سياسة خارجية وجامعة عربية
124	.....	سبيل الخلاص
127	.....	مفكّرة
129	.....	دفاعاً عن الإنسان
133	.....	حول مقال "للأوبزرفر"
136	.....	الجامعة حيث لا إجماع
139	.....	في التفقيش عن الشرق الأدنى
145	.....	معرفة الغرب
148	.....	العقل السليم
152	.....	مقال صغير في المنهج
155	.....	أغنية قديمة
158	.....	أبعاد لسياسة واحدة
161	.....	مسيرة الحقيقة
164	.....	مسيرة الحقيقة (تابع)
167	.....	مسار تاريخي
170	.....	عن الدفاع الجماعي
173	.....	الدفاع الجماعي دائماً وأبداً
176	.....	من إفراط لآخر
180	.....	حول الأحلاف والدفاع
183	.....	الرحلة الاسبانيّة
186	.....	إيزنهاور والشرق الأدنى
188	.....	ملاحظات وأسئلة
190	.....	دبلوماسية وشعور
193	.....	الشرق الأدنى وطريق دمشق
196	.....	خطوط عريضة لأمتولة في العلوم السياسيّة
199	.....	الشرق الأدنى والشرق الأوسط
202	.....	حول القيادة في المتوسط
205	.....	للخروج من العزلة
209	.....	أبو الهول ونفرتيتي
211	.....	على هامش الزيارة الإيطاليّة إلى مصر
214	.....	كتلة لا شكل لها
217	.....	مدخل إلى زيارة السيد فوستر دالس
220	.....	بين أثينا وروما
222	.....	اختلافات وعقبات
225	.....	مظاهر الأمن الجماعي
228	.....	حول توجّه العالم العربي



231	.....	مخصّص للعرب المتوسطيّين
234	.....	حول خطاب لرئيس الدولة
238	.....	كلمات جديدة على لحن قديم
240	.....	إيضاحات وإضاءات حول حلف للشرق الأدنى
243	.....	دوّارة الرّياح
245	.....	الفهرس

- ( )
- ( ) السرّة: هي المؤنة، وفي العامية "ذكرة البطن" (المترجم).
- ( )
- ( ) Marchand: مغامر فرنسي باتجاه منابع النيل؛ وكيثشنيير لورد إنكليزي احتلّ السودان؛ وفاشودا: منطقة سودانية على النيل شهدت صراعاً فرنسياً – انكليزياً (1898). (المترجم).
- ( )
- ( ) هو الكونت برنادوت من العائلة المالكة السويدية والمعين من قبل الأمم المتحدة بعد الهدنة (في فلسطين) للقيام بدور الوسيط وقد اغتاله الصهاينة في 17 أيلول 1948 في القدس.
- ( )
- ( ) ستاجيريت: مسقط رأس أرسطو. (المترجم).
- ( )
- ( ) البحر الأيوني: جزء من المتوسط يفصل سيبيليا عن اليونان.
- ( ) هلاذ: تسمية قديمة لبلاد اليونان. (المترجم).
- ( )
- ( ) Albe-La Longue: منافسة روما في القرن السابع قبل المسيح في الصراع الأسطوري بين الـ (Horaces) والـ (Curiaces). (المترجم).
- ( )
- ( ) بكتريان: مقاطعة أفغانية. (المترجم)
- ( )
- ( ) بينيلوب: زوجة أوليس (Ulysse) ورمز العمل غير المنجز. (المترجم).
- 
- Montcalm: إسم طراد فرنسي. (المترجم)
- 
- ( ) مدينة جنوب إيطاليا انتصر فيها هانيبعل على الرومان عام 216 ق.م. (المترجم)
- ( )
- ( ) إمبراطور روماني (284-305)، اشتهر بقراراته الحاسمة، بما فيها الإصلاحات الاقتصادية والنقدية. (المترجم).
- 
- ( ) لايك سوكسس Lake Success: اسم منطقة شرق نيويورك كانت مقرّاً للأمم المتحدة بين العامين 1945 – 1951. (المترجم).
- 
- ( ) روبير شومان: سياسي فرنسي (1886-1963)، شغل عدة مناصب، منها وزارة الخارجية. (المترجم).
- 
- ( ) دين اشيسون: ناظر الخارجية الأمريكي. (المترجم).

غوادلكيفير: نهر اسباني يمرّ في قرطبة. (المترجم).

غانج: نهر هندي مقدّس. (المترجم).

يانغ-تسي: أكبر نهر في الصين. (المترجم).

مايوركا: مدينة في أرخبيل البليارس الإسباني غربي المتوسط. (المترجم).

دلماطيا: منطقة ساحليّة من كرواتيا (يوغوسلافيا) على البلطيق. (المترجم).

المقصود البريطاني المعروف بلورانس العرب. (المترجم).

السوند: أرخبيل من الجزر في إندونيسيا. (المترجم).

سعداباد: نسبة إلى مدينة إيرانيّة واقعة على خط أصفهان / شيراز. (المترجم).

توكفيل: مفكّر وسياسيّ فرنسي (1805-1859). (المترجم).

تسمية أطلقها القدامى على مضيق الدردنيل. (المترجم).

عرض سفراء بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وتركيا في القاهرة، على مصر أن تشارك على قدم المساواة في حلف للدفاع الجماعي عن الشرق المتوسط. حكومة النحاس باشا التي كانت، قبل ذلك ببضعة أيام، قد ألغت المعاهدة الأنغلو-مصرية للعام 1936، ردت برفض اقتراح الأربعة.

يقصد الجهة الشرقية من البحر المتوسط. (المترجم).

مقاطعة في شمال شرق اسبانيا (المترجم).

جافا (Java) أهم جزر اندونيسيا (المترجم)

بعد تنحّي الملك فاروق عن العرش، اختير الجنرال محمد نجيب رئيساً لمجلس الثورة من جانب الضباط الشباب الذين قاموا بانقلاب على الملكية. بدوره، جرى استبعاد الجنرال محمد نجيب بعد سنة من ذلك واستُبدل بالكولونيل جمال عبد الناصر.

Caton: رجل سياسيّ رومانيّ معروف بقسوته وخاصة ضد قرطاجه التي طالما دعا إلى تدميرها (المترجم).

الكولونيل أديب الشيشكلي كان يمسك في تلك الفترة بمصائر سوريا.

مجسيّ: صفة حيوان لديه أطراف قابلة للانمغاط يتمكّن بواسطتها من القبض على فريسته. ونموذجه الأخطبوط. ولا توجد

لفظة أكثر فصاحةً (أكثر سهولةً ووضوحاً) في العربية لترجمة اللفظة الفرنسية (Tentaculaire). (المترجم).

كانت رابطة قدامى طلاب الجامعة الأميركية في بيروت قد نظّمت، في 23 و24 و25 حزيران، "مؤتمراً حول قضايا العالم العربي"، وهو مؤتمر افتتح بخطاب للرئيس كميل شمعون.

القلبيق: قبعة عالية كان يستعملها الجيش التركي. والاستراخان: فرو الحملان الصغيرة. (المترجم).

PAGE 236

PAGE 237